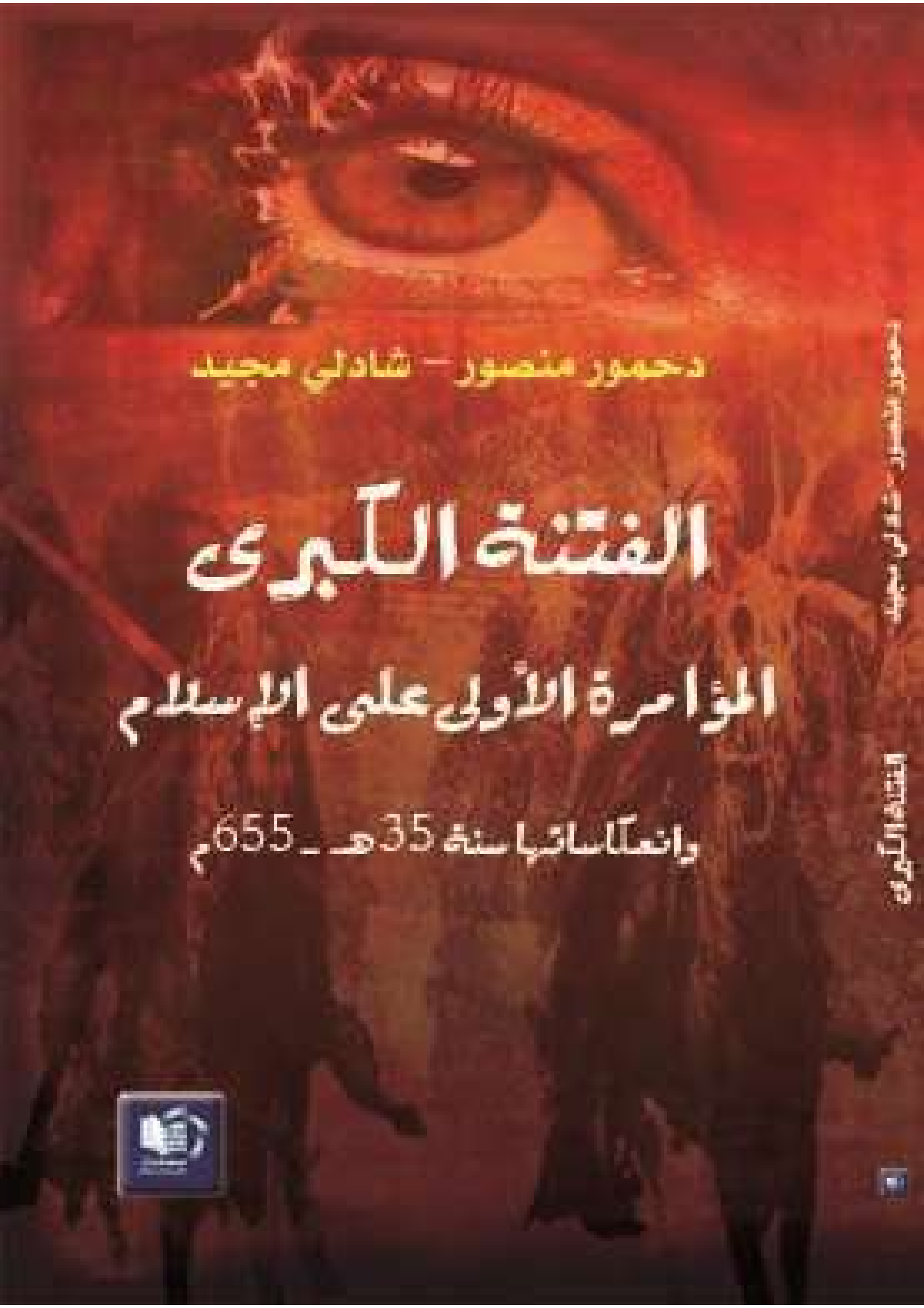

د حمور منصور – شادلي مجيد
الفتنة الكبرى
المؤامرة الأولى على الإسلام
وانعكاساتها سنة 35هـ ـ 655م
د حمور منصور – شادلي مجيد
الفتنة الكبرى
الفتنة الكبرى
المؤامرة الأولى على الإسلام
الكل يسميها الفتنة والكثير يضيف إليها كلمة الكبرى لتكون في
عرف العالم الإسلامي على أنها الفتنة الكبرى، وأغلبهم يحكّم فيها
خلفياته الذهنية وينظر إليها بنظرة الدونية في تاريخ تكتبه يد
الحكمة الإلهية، ومنها يبتدر السبّ واللعن وتحكيم العين
الشيطانية، ولكن لا أحد يتعظ ولا أحد يعتبر ويرى بعين الحقيقة
عين الواقع عين العقل، فلماذا يصدق الكثيرون لما لا يرون، ويحبون
من لا يعرفون ويهتفون لما لا يدركون ويتراكضون إلى ما يجهلون،
يقولون أننا في عصر غريب عن عصر الراشدين وبعيد عن مواطن
المهديين ويتناسون قول النبي الأمي الذي قال له ربّ العصر الأول
والآخر: "لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ
يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47)
لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ
أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (48)" التوبة، الآية: 47-48.


د.حمور منصور - شادلي مجيد
الفتنة الكبرى
المؤامرة الأولى على الإسلام
وانعكاساتها سنة 35هـ - 655م

المؤامرة الأولى على الإسلام

الفتنة الكبرى وانعكاساتها سنة 35 للهجرة

الكتاب: المؤامرة الأولى على الإسلام

الفتنة الكبرى وانعكاساتها سنة 35 للهجرة

تأليف:.دحمور منصور – شادلي مجيد



الطبعة الأولى:2014

عدد النسخ: 1000

عدد الصفحات:128

قياس الكتاب: 21.5*14.5

isbn: 978-9933-495-25-1

التنفيذ والإخراج الفني: دار صفحات

صفحات للدراسات والنشر

سورية ـ دمشق ـ ص.ب: 3397

هاتف: 095 13 22 11 00963

تلفاكس: 013 33 22 11 00963

www.darsafahat.com

info@darsafahat.com



المؤامرة الأولى على الإسلام

الفتنة الكبرى وانعكاساتها

سنة 35 للهجرة

دحمور منصور – شادلي مجيد





قال النبي ﷺ:

"من حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة"

الفهرس

تقديم

الكل يسميها الفتنة والكثير يضيف إليها كلمة الكبرى لتكون في عرف العالم الإسلامي على أنها الفتنة الكبرى، وأغلبهم يحكّم فيها خلفياته الذهنية وينظر إليها بنظرة الدونية في تاريخ تكتبه يد الحكمة الإلهية، ومنها يبتدر السبّ واللعن وتحكيم العين الشيطانية، ولكن لا أحد يتعظ ولا أحد يعتبر ويرى بعين الحقيقة عين الواقع عين العقل، لماذا يصفق الكثيرون لما لا يرون، ويحيون من لا يعرفون ويهتفون لما لا يدركون ويتراكضون إلى ما يجهلون، يقولون أننا في عصر غريب عن عصر الراشدين وبعيد عن مواطئ المهديين ويتناسون قول النبي الأمي الذي قال له ربّ العصر الأول والآخر: "**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** (47) **لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ** (48)" التوبة، الآية: 47-48، "عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ"، وقوله صلوات ربي وسلامه عليه: " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"، وصحيح أن كلامنا فيما جرى سنة 35 للهجرة هو منطلق دراسة الأحداث من خلال صاحب "المروج" وصاحب "العبر" ولكنه في أصله حديث إلى عصر قيل عنه عصر تقدّم، ولكنه تقدّم في الحروب والأعراض والشرف الانساني، لا نكاد نسمع فيه إلا إراقة دماء المسلمين

وتتويه ذهنيةغيرنا من شعوب الأرض، عصر تناسى فيه الناس قول ربهم: "**سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ** (10) **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ** (11)" الرعد، الآية: 10-11، ليعود فيه الإسلام غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء.

مقدمة

أثار موضوع الفتنة الواقعة خلال النّصف الأوّل من القرن الأوّل للهجرة شبهات اختلف العام و الخاصّ في النّظر إليها ودراستها وتفسيرها، إلى درجة أن الدّارس لها يجد نفسه في الكثير من التّناقضات الصّريحة من جهة، و الخفيّة من جهة أخرى، خاصّة وأنّ الفتنة لم تنل اهتمام أهل التّاريخ فحسب؛ بل وكان لأهل الفلسفة وعلم الكلام والأصول والحديث والاجتماع والسياسة وغيرهم نصيب كبير في الخوض فيها.

ومن هنا كثُرت الأخبار والرّوايات والتّفسيرات والاعتقادات والآراء حول ما حدث زمن الفتنة الكبرى، إلى درجة أننا نقف أمَام كمٍّ هائل من الكتابات ذات وجهات النظر المختلفة حولها، يدافع عن كلّ منها صاحبها، حسب توجّهه واِعتقاده ونظرته إلى الصّورة الّتي يحاول أن يجعل منها الحقيقة الواقعة للفتنة الكبرى، وهذا ما رسمتْ دربه أُولى مصادر التّاريخ الإسلامي.

و بما أنّ الفتنة انقسمت إلى مرحلتين كبريتين هما: مرحلة الفتنة زمان عثمان بن عفّان ﵁، و مرحلة ما بعد مقتله، فإننا قد اخترنا المرحلة الأولى، و ألقينا النّظر على سنة 35 هـ/ 655م منها فحسب، وإن كان لابدّ من إلقاء النّظر على ما سبق وتلى هذه السّنة ممّا لابد من ذكره، مركزين على الفتنة وانعكاساتها خلال السنة المذكورة، من خلال كتابي "مروج الذهب" للمسعودي و " كتاب العبر" لابن خلدون.

وحتى نوضح الأمر أكثر، يمكننا أن نقول: أن الفتنة – من وجهة نظرنا – كانت في الثورة على عثمانﷺ، و تعبئة الرأي العام ضده في سبيل إسقاط النظام الراشدي بإقصاء الخليفة عن منصبه، وكأن الثورة كانت نسيجا لخيوط الفتنة التي حيكت قبل سنة 35هـ/ 655م، وصورة عملية لها، ولعل هذه النظرة تتشارك ضمنيا مع قول النبي ﷺ وهو يذكر الفتنة : "هَذَا يَوْمَئِذٍ عَلَى الهُدَى." [1] –يعني عثمان ﷺ–.

وتتلخص إشكالية الموضوع الذي نحن بصدد دراسته في :

ماهي أسباب الفتنة ؟ وما هي مظاهرها؟ وما هي نتائجها و انعكاساتها على المجتمع الإسلامي خلال السنة المذكورة؟

الأمر الذي وضع أمامنا عدة تساؤلات فرعية منها :

- ✓ كيف كانت طبيعة هذه الأسباب؟.
- ✓ وعلى أي أساس قامت الفتنة و اندلعت الثورة على عثمانﷺ؟.
- ✓ و ما هي السبل التي انتهجت في إضرام نارها من جهة و في إخمادها من جهة أخرى؟.

هذا إلى جانب الكثير من الأسئلة التي يظهر روحها بين طيات البحث، محاولة منا كشف ما خفي حول الفتنة، من خلال قراءة جديدة في الروايات و التفسيرات التي تناولتها .

ومن هنا كان طرحنا هذا، و الموسوم بـ"الفتنة الكبرى و انعكاساتها سنة 35هـ /655م، من خلال مصدري المسعودي و ابن

1– محمد بن عيسى الترمذي ، الجامع الكبير ، تحقيق : عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط2، 1998، كتاب: المناقب، باب: مناقب عثمان بن عفان، ح: 3704، مج6، ص 72 .

خلدون"، في سبيل إلقاء الضوء على هذه الفترة من الفتنة، خاصة وأنها كانت مقدمة لصراع طويل امتدت جذوره إلى عصرنا الحالي.

ولعل أهم الأسباب التي دعتنا إلى البحث في هذا الموضوع – مع تعدد و تنوع الدراسات حوله – هو اختلاف وجهات نظر هذه الدراسات، لذا ارتأينا رسم صورة كلية له من خلال طرح ما استطعنا لملمته من أراء حوله، خاصة و أن الأقلام التي نفذت في الكتابة في الفتنة خلت في أغلبها من الموضوعية، و ملء حبرها بكثير من الذاتية، دون تناسي أن الموضوع دُرس في أغلب الكتابات من ناحية واحدة إما سياسية، أو فكرية، أو اجتماعية اقتصادية ، أو من خلال صحّة الرواية التاريخية، ما يجعل القارئ يقف مُجبرا عند بعض الحلقات المفقودة، ليرى الفتنة من زاوية يخفى عنه من خلالها المشكل الكلي لحقيقة الفتنة الكبرى. كما أننا حاولنا إبراز وجهة نظرنا الخاصة تجاه الموضوع، دون أن نخفي أن له وقعا في النفس يدعو إلى بحثه، لا سيما و أن الفتنة تعتبر من أعقد وأكثر المواضيع حساسية في التاريخ الإسلامي، إضافة إلى أهميتها كموضوع لعب أكبر دور في كتابة تاريخ ما بعد الفتنة.

وحتى نوضح معالم هذه الصورة، قسمنا دراستنا إلى ثلاثة فصول، قدمناها بهذه المقدمة التي أعطت صورة عما بعدها، إضافة إلى مدخل تكلمنا فيه عن أوضاع المجتمع الإسلامي قبل الفتنة؛ منذ زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى عهد ذي النورين رضي الله عنه.

ففي الفصل الأول، تطرقنا إلى أسباب الفتنة؛ التي صنفناها إلى أسباب حقيقة وأخرى غير حقيقة، تعرضنا إلى الحقيقية منها في المبحث الأول حيث كشفنا دور ابن سبأ في إثارة الفتنة، إضافة إلى الأسباب الشخصية التي دفعت البعض إليها، و تحدثنا في المبحث الثاني

عن الأسباب غير الحقيقة، و التي صنفناها إلى مرحلتين هما : مرحلة انتقاد الولاة، و مرحلة انتقاد الخليفة.

أما الفصل الثاني فأتينا فيه على ذكر الثورة و بدايتها و استمراريتها إلى مقتل عثمانﷺ، حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى بداية الثورة وموقف عثمان منها في سبيل إخمادها، مع دور مثيري الفتنة في إنجاحها، و ذكرنا في المبحث الثاني استمرارية الثورة و حصار الخليفة ثم مقتله بعد ذلك.

وأما الفصل الثالث فقد حوى مسألة الخلافة وتأزم الأوضاع بعد مقتل عثمانﷺ، إذ أتينا في المبحث الأول على ذكر بيعة الإمام عليﷺ، و مواقف الصحابة منها، فيما درسنا في المبحث الثاني مسألة القصاص و خلاف الصحابة حولها، مع ذكر وجهات نظرهم تجاهها، ونتائج هذا الخلاف.

وخلصنا إلى خاتمة عرضنا فيها ما استقصيناه من نتائج حول الموضوع ونظرتنا الى إليه.

ولاستيفاء البحث، اعتمدنا على أربعة مناهج هي: الوصفي والتحليلي والنقدي والمقارن.

أما الوصفي، فاعتمدناه في وصف الوقائع والأحداث، وتركيبها لإعطاء صورة منطقية مترابطة حول الفتنة الكبرى.

وأما التحليلي، فلجأنا إليه لتحليل بعض الروايات التاريخية حول ما حدث، إضافة إلى الخلوص إلى بعض التواريخ، وترجيح بعض الروايات عن غيرها، وتفسير الكثير من المواقف.

أما النقدي، فرددنا به على بعض الآراء التي لم تسم إلى الصواب، سواء من خلال شذوذها، أو ضعفها، أو بعدها عن واقع المنطق السياسي في تفسيرها لبعض المواقف والأحداث التي حكم عليها بعض أهل التاريخ بغير ما هي عليه، مثبتين وجهة نظرنا في ذلك.

أما المقارن ، فوظفناه في الخلوص إلى رواية المسعودي وابن خلدون من خلال مقارنتهما بما تقدمهما من مصادر، ومحاولة ترجيح بعض الروايات حسب المنطق التاريخي للحدث، وبطبيعة الحال تداخلت هذه المناهج تداخلا تكامليا فيما بينها، محاولة منا الوصول إلى لب الموضوع وحقيقته، كما حاولنا قدر الإمكان إيراد روايات صاحب "المروج" وصاحب "العبر"، إلى جانب ما لم يوردا مما أثبتناه عن غيرهما، والإحالة إلى ما له علاقة بالموضوع ولم نورده في حديثنا، إلى جانب ذكر أكثر من مصدر للمعلومة المفردة، إلا فيما ندر، إضافة إلى عدم الإطناب في تراجم الأعلام المذكورة، مع كثرتها وتعذر تخريج بعضها .

ولدراسة هذا الموضوع، جمعنا بين كتب التاريخ والسير والتراجم والأنساب والطبقات والفرق والمذاهب والتفسير والحديث والعقائد وغير ذلك؛ ولعل أهم ما اعتمدنا من ذلك زيادة على مروج الذهب[1]، وكتاب العبر[2]، وكتاب "الفتنة ووقعة الجمل"[3] لسيف بن عمر التميمي

1-أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر، تقديم: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، دت، ج2.

2- أبو زيد عبد الرحمن ولي الدين بن خلدون، تاريخ ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار البيان، مصر، دط، دت،ج2.

3-سيف بن عمر الضبّي الأسدي التميمي، الفتنة ووقعة الجمل، جمع وتصنيف: أحمد راتب عرموش، دار النفائس ، بيروت ، ط1، 1972.

(ت200 هـــــــ/815م)، و"أنســــــاب الأشـــــراف"[1] للـــــبلاذري (ت279هــ/892م)، و"تـاريخ اليعقـوبي"[2]، لصـاحبه أحمـد بـن أبـي يعقـوب (ت292هــ/904م)، و"تـاريخ الرسـل والملـوك"[3] لأبـي جعفـر الطـبري (ت310هـــ/922م)، و"البدايـــة والنهايـــة"[4] لابـــن كـــثير (ت774هــ/1372م)، إلى غـير ذلـك مـن المصـادر، إضـافة إلى كتـاب "الفتنـة الكبرى والمؤرخـون العـرب"[5] لعـدنان ملحـم، و"الفتنـة"[6] لهشـام جعيط، بالإضـافة إلى مؤلفـات محمـد الصـلابي وغيرهـا ممـا أثبتنـاه في قائمة المصادر والمراجع.

ومن المشاكل التي واجهتنا أثناء دراستنا لهذا الموضوع، أن الفتنـة تعد أكثر المواضيع التي تضـاربت حولهـا الآراء، واختلفـت تجاههـا الـرؤى، وتداخلت وتضادت فيها الروايات، إضافة إلى أن بعض أحداثها يكتنفها غموض ظاهـر، وتفتقد إلى حلقات تدور حولها عدة تفسـيرات في أغلبـها ذات تناقض كبير .

1-أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري أنساب الاشراف ، مكتبة المثنى ، بغداد، دت، ج5.

2-أحمد بن ابي يعقوب إسحاق بن جعفر اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت، 1960، مج2.

3-أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ط2، 1967،ج4.

4-أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: جودة محمد جودة، محمد حسني الشعراوي، دار ابن الهيثم، بيروت، ط1، 2006، ج7،ج8.

5- عدنان محمد ملحم، المؤرخون العرب والفتنة الكبرى (القرن الأول، القرن الرابع الهجري،): دراسة تاريخيّة منهجيّة، دار الطّليعة، بيروت، ط2، 2001.

6- هشام جعيط، الفتنة: جدلية الدين و السياسة في الإسلام المبكر، ترجمة : خليل أحمد خليل، دار الطليعة ، بيروت ، ط5.

والأعقد من هذا، أن كلا من صاحب "المروج" وصاحب "العبر" استبعدا الإسناد، مما كلفنا كثيرا من البحث في الروايات و رُواتها والمقارنة بينها للوصول إلى أصل رواية المسعودي وابن خلدون، هذا مع أن الروايات التي تتحدث عن الفتنة في أغلبها مبعثرة من ناحية الترتيب المنطقي، مما كلفنا عناء رسم صورة منطقية لسيرورة أحداثها.

إلى جانب ذلك، كان لابد علينا من دراسة اتجاه أهل التآليف التي اعتمدناها ومعتقداتهم، لفهم وجهات نظرهم إلى الفتنة، كما حاولنا قدر الإمكان الإلمام بجوانب الموضوع، دون إطناب مملّ ولا اِختصار مخلّ.

على أننا نرجو أن لا نكون كمَثَلِ البحتريِّ إذ قال:

هَذِي مَحَاسِنِيَ اللاَّئِي أَدُلُّ بِهَا   غَدَتْ عُيُوبًا فَقُلْ لِي: كَيْفَ أَعْتَذِرُ

ومع هذا فالفضل للّه وحده، فما كان من صواب فمنه تعالى و ما كان غير ذلك فمن أنفسنا و من الشيطان، و الحمد للّه أوّلاً وآخرًا و اللّه ولي التوفيق.

مدخل

المجتمع الإسلامي قبل الفتنة

إن تفسير أمر الفتنة الواقعة في صدر الإسلام يعتمد، حسب اعتقادنا، على الظواهر الاجتماعية التي تجلّت في المجتمع حينها، ولم يتعرض إلى الخفايا التي صنعت ذلك المجتمع في الصورة التي ظهر عليها؛ إذ أن السبب الحقيقي في قيام ثورة سنة 35هـ/655م-كما سيأتي ذكره- يتمثل في إيجاد أسباب اجتماعية واسعة النطاق لتحقيق الهدف من بث الفتنة.

وبمجرد النظر في نقطة التحوّل التي شهدها المجتمع الإسلامي بين عهد عمر بن الخطابﷺ وعهد عثمان بن عفان ﷺ، ومن خلال استقراء الروايات التاريخية التي تظهر الكثير من الاختلاف بين العهدين، يبدو وكأن المقارنة بينهما مقارنة بين مجتمعين مختلفين لا علاقة لأحدهما بالآخر.

وحتى نلمح هذه اللفتة فصلنا بين العهدين في تساؤلنا عن المجتمع الإسلامي قبل الفتنة.

من المعروف أن عهد أبي بكرﷺ،لم يعرف سوى حركة الردّة التي ظهرت بعد وفاة رسول اللهﷺ، والمتمثلة في مانعي الزكاة والمتنبئين [1]، حيث عُرف حكم القتال؛ إذ أن المجتمع انقسم إلى فئتين: فئة مسلة، و أخرى مرتدّة لا يخفى على الناس حكم قتالها .

كان المجتمع الإسلامي، في عهد أبي بكرﷺ وعمرﷺ، مؤتلفا لا نزاع فيه، حيث استقرت الأوضاع الداخلية، حتى أواخر عهد عثمانﷺ؛ إذ

1- حمدي شاهين، الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، دار القاهرة، مصر، ط2003،1، ص61.

حدثت أمور أوجبت نوعا من التفرق[1]، اتّهم هذا الأخير أنه المتسبب فيها .

ومع ذلك، فقد قيل أن بذور العصبية القبلية غُرست في خلافة عمر‏رضي الله عنه، داخل الأمصار التي فتحها المسلمون[2]، مع أن هذا الخليفة كان شديد الحذر في شأن العصبية، درءا للتحزبات الاجتماعية بين أكابر الصحابة[3]فضلا عن أهل الأمصار، فإذا افترضنا ذلك، فما السبب في هدوء هذه العصبيات وعدم ثورانها ولو لمرّة واحدة ؟ لاسيما وأنها كانت في الأمصار حديثة العهد بالإسلام مقارنة بعهد عثمان‏رضي الله عنه، والتي لم تتخلّص بعد من انتمائها إلى الماضي كالأمصار الفارسية التي كان لها دور كبير في الثورة على ذي النورين‏رضي الله عنه.

والجدير بالذكر، أن ظاهرة الانتقاد ظهرت في خلافة عمر‏رضي الله عنه، إذ أن أهل العراق كانوا يشكون ولاتهم[4]، وينتقدونهم ويكذبون عليهم[5]، بل وتجاوز المجتمع ذلك إلى درجة أن ملّ الخليفة رعيته[6]، فما السّر في

1- على محمد الصلابي ، الدولة الأموية : عوامل الازدهار و تداعيات الانهيار، مؤسسة اقرأ ، الفسطاط ، ط1، 2005، ج1، ص77.

2- جمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء محمد رفعت جمعة، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، لماذا؟ وكيف ؟، دار الوفاء، مصر، ط2، 1988، ص73.

3- حمدي شاهين، الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، المرجع السابق، ص131.

4- نايف محمود معروف، الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، دار الطليعة ، بيروت ، ط5، 2004،ص 40./ للاطلاع على خريطة العراق زمن الفتنة ينظر الملحق رقم: 10.

5- حمدي شاهين، الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، المرجع السابق، ص141-143.

6- حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها : دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، مصر، 2001، ص167.

ثـورة هـؤلاء بالـذات في عهـد عثمـانﷺ؟، ومـا الـدافع لهـم إلى ذلـك ؟، خاصة إذا تأمّلنا الفترة الممتدّة من عهد الفاروق إلى سنة 35هـ/ 655م.

مـن غـير المنطقـي أن نقـول أن عثمـانﷺ "غـير سـيرته وحـاد عـن الحق"[1]، علما أنه تولى الخلافة اثني عشرة سنة، لم ينقم عليه الناس شيئا خلال السنوات الستّ الأولى منها، وأنه كان أحبّ إلى قريش من عمرﷺ للينه ورفقه [2]، وهنا يكمن سرّ التحوّل الاجتماعي، فإذا صحّت مقارنته، فإنما يجب أن تكون المقارنةً بين السّنوات الست الأولى والست الأخيرة من خلافة عثمانﷺ، لا بين عهده وعهد من سبقه.

ويبدو أنه من المجحف اتهام أمير المؤمنين بالانقياد لعشيرته على حساب المجتمع الإسلامي[3] مما أثار الحفيظة ضده ورسم معالم الأرستقراطية الأموية في عهده، وبالتالي ظهور ملامح القبلية، التي قيل عنها أنها نتيجة لسياسته، وأن التنافس القبلي بدأ من جديد في عهده[4]، وأنه هو من عمل على إحداث الفتنة[5].

ومن الغريب أن نقول أنّ المجتمع ظلّ، طيلة السّتّ سنوات الأولى

1- جمال عبد الهادي مسعود، وفاء رفعت جمعة، المرجع السابق، ص71.
2- الصلابي ، الدولة الأموية، المرجع السابق، ج1، ص77.
3- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002، ص110.
4- سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب و التمدن الإسلامي ، تر : رياض رأفت ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ط1، 2001، ص42./ إبراهيم بيضون ، مؤتمر الجابية : دراسة في نشوء خلافة بني مروان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط2، 1997، ص 113.
5- محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، دار رؤية ،القاهرة، ط6، 2006، ص27.

من خلافة عثمانﷺ، محافظا على سكونه بالرغم من تعسّف الولاة واستبدادهم[1].

لعل الأمر يبدو غامضا إذا درسنا المجتمع على ظاهره خلال الفتنة، الأمر الذي يستوقفنا مرغمين أمام بعض الحلقات المفقودة، والتي تتقدمها هذه الحلقة التي تتلخص في طبيعة هذا التحول الغريب والمبهم في المجتمع الإسلامي، كمحطّة أولى في كشف حقيقة الفتنة الكبرى، الهدف الذي نسعى إليه من خلال دراستنا هذه.

1- سيد أمير علي، المرجع السابق، ص72.

الفصل الأول

بوادر الفتنة وحقيقة الأسباب

المبحث الأول: الأسباب الحقيقية للفتنة:

يكاد يجمع المؤرخون على أن سياسة عثمانﷺ الإدارية لعبت أخطر دور في تهيئة أجواء الفتنة و الثورة عليه [1]، و أن الخلافة تورطت بعد موت عمر ﷺ في سلسلة من الأخطاء، ومن ثم عجزت عن مواجهة النقمة الشعبية[2]، بينما يورط البعض الصحابة في إيقاد نار الفتنة[3]، حيث يجعلون منهم أول منتقد للخليفة، و أن هذا النقد ظهر أول الأمر بينهم[4]، ذلك أن امتيازات الأمويين بدأت تهدد مكانتهم، ومن ثم حاولوا إبعادهم عن بطانته، فلما استحال ذلك أثاروا عليه الساخطين و انقلبوا ضده[5]، غير أن هذه النظرة تبدو بعيدة عن الواقع الذي نشأت فيه الفتنة ونتجت عنه الثورة فيما بعد، ورأيُنا في هذا أن الفتنة ظهرت في فترة استفادت فيها من ظروف حتمية، والتي لم تكن أسبابا لها كما يصورها البعض.

---

1 – نايف معروف، المرجع السابق، ص 39.

2 – فان فولتن، السيطرة العربية و التشيع و المعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية ، ترجمة: إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية ، بيروت، د ط ، 1996، ص 141./ حول خريطة الدولة الاسلامية زمن الفتنة ينظر الملحق رقم: 09.

3 – علي محمد الصلابي ، فكر الخوارج و الشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة، دار المجدد ، الجزائر، د ط، 2009، ص 213.

4 – هشام جعيط، المرجع السابق، ص 85.

5 – يوليوس فلهوزن، تاريخ الدولة العربية: من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: حسين مؤنس ، تقديم : مصطفى لبيب عبد الغني ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، د ط ، 2005، ص 40-41.

وتمثلت هذه الظروف في طبيعة التحول الاجتماعي وتمازج القوميات والأجناس وعقائدهم[1]، وظهور جيل جديد، متطرف ذي عصبية فكرية وجنسية[2]، إضافة إلى استعداد المجتمع لقبول الشائعات[3] التي ألهبت وعبأت الرأي العام؛ نتيجة عوامل متداخلة خاصة مع التدبير المحكم لإثارتها[4]، لاسيما مع اختلاف سياسة عثمان رضي الله عنه عن سياسة عمر رضي الله عنه[5]، إضافة إلى الثراء والترف وأثره في المجتمع[6]، وتوقف الفتوحات بسبب حواجز طبيعية وبشرية[7]، زيادة على ذلك عودة ملامح العصبية القبلية الجاهلية [8]، التي يصورها البعض صورة شمولية تجعل كل ما حدث أثناء الفتنة الكبرى نتيجة لها[9].

---

1 – الصلابي ، الدولة الأموية، المرجع السابق، ج1، ص79،/ أبو محمد الحسيني ، أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب : نصوص من كتب الشيعة الاثنى عشرية تبين موقفهم من الصحابة بإيجاز، د ن ، د م ، ط1، 1993، ص 86./ طه حسين، الفتنة الكبرى: عثمان، في إسلاميات، دار الآداب، بيروت، ط1، 1967، ص738.

2 – الصلابي، المرجع نفسه، ج1، ص 80.

3 – المرجع نفسه، ج1، ص 80– 81.

4 – المرجع نفسه، ج 1، ص 84.

5 – المرجع نفسه، ج1، ص 81،/ عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ : ما بين وفاة النبي ﷺ إلى مقتل الحسين ﷺ سنة 61 هجرية، دار ابن الجوزي، القاهرة ، ط1، 2007، ص 83.

6 – الصلابي ، المرجع السابق، ج1، ص 78./ عثمان الخميس ، المرجع السابق، ص83.

7 – الصلابي ، المرجع نفسه، ج1، ص 82–83.

8 – المرجع نفسه، ج1، ص 82.

9 – ينظر مثلا : إبراهيم بيضون ، مؤتمر الجابية : دراسة في نشوء خلافة بني مروان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط2، 1997، ص 113.

ومن خلال تقصّينا لأسباب الفتنة، رأينا أن هذه الأسباب كانت خفية إلى أقصى الحدود إلى درجة أن المصادر لمّحت إليها دون دراستها بعمق، ويمكن حصرها، في نظرنا، في سببين هما:

أولا: دور ابن سبأ في بث الفتنة:

إنّ الظّروف التي عاشها المجتمع الإسلامي إبان خلافة عثمان رضي الله عنه، أعانت على بثّ الفتنة بشكل كبير، في الوقت الذي ظهرت فيه يد خفيّة مهّدت لها[1] تمثّلت في رجال تستّروا تحت رداء الإسلام ليكيدوا له[2] وليصلوا إلى هدف وحيد هو القضاء على الكيان الإسلامي عبر مراحل مرسومة بدّقة، توضّح أنّ الأمر كان وليد مخطط.

ويظهر على رأس هؤلاء رجل يدعى عبد الله ابن سبأ، اليهودي الذي اختلف المؤرّخون حول حقيقة وجوده، بين مثبت ومنكر له ولدوره[3]، لاسيما بعض أهل التشيّع الذين حاولوا نفي وجوده، بحجّة أنّ أهل السنّة اخترعوه للطّعن في بداية تاريخ الشّيعة[4]، وأنّه من ابتداع

1- نايف معروف، المرجع السابق، ص49.

2- إحسان إلهي ظهير، الشّيعة والسنّة، إدارة ترجمان السنّة، باكستان، ط3، 1976، ص17-18.

3- عدنان ملحم، المرجع السابق، ص235-236./ لمزيد من المعلومات ينظر: إبراهيم بيضون، عبد الله بن سبأ : إشكالية النص و الدور الأسطوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1، 1997./ خالد كبير علال، رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه: دراسة نقدية تمحيصية وفق منهج علم الجرح والتعديل، دار المحتسب، 2008، ص 04-14.

4- السيد حسين الموسوي، لله ثم للتّاريخ: كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط1، 2007، ص13./ محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري و المحدثين، دار طيبة، الرياض، ط1، 1994، ج1 ص316.

سيف بن عمر[1]- [2]، غير أنّ عددا من المصادر الشّيعيّة أثبتت وجوده ووجود أتباع له[3]، كما اتفق المؤرّخون والمحدّثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والأنساب على وجود ابن سبأ[4]، وبالتّالي فوجوده مثبت وشخصيّته حقيقة تاريخيّة لا لبس فيها[5]. ونحن نرى أنّ إنكار ابن سبأ كان لعدم ربط بداية التشيّع به، وأمّا إنكار دوره فسببه ضآلة ما حملته المصادر عنه وعن دوره في بثّ الفتنة، والسبب في ذلك إنّما هو السّرية الّتي أحاط بها ابن سبأ وأتباعه أهدافهم وأسلوبهم وعملهم في إثارة الفتنة، إلى درجة أن دوره لم يتجلَّ زمن الفتنة نفسها إلاّ فيما يندر وجوده.

1- سيف بن عمر التميمي إخباري عارف بالتاريخ، (ت 200هـ/815م) كوفي الأصل، توفي ببغداد، ضعيف في الحديث، ثقة في التاريخ والأخبار. ينظر: ابو عبد الله محمد ابن احمد ابن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، داراحياء الكتب العربية، بيروت، ط1، 1963، ق2، ص255-256./ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951، مج1، ص413.

2- الصّلاّبي، حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفّين وقضية التحكيم، دار ابن الجوزيّ، القاهرة،2007، ص11./ مرتضى العسكري، خمسون ومائة صحابي مختلق، منشورات كلية أصول الدين ، بغداد، ط1، 1968، ق1، ص 12.

3- ينظر مثلا: الموسوي، المرجع السابق، ص 14-16./ إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص 20-24.

4- الصّلاّبي، المرجع السابق، ص 12./ محمد أمحزون، المرجع السابق، ج1،ص285./ لمعلومات مهمة حول ابن سبأ ينظر: علي بن أحمد الرازجي، توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ: بين أقلام أهل السنة والشيعة وغيرهم، دار الآثار، القاهرة، ط 01، 2007./ سعدي الهاشمي، ابن سبأ حقيقة لا خيال، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط01، 1985.

5- الموسوي ، المرجع السابق، ص 16. / الصلابي ، المرجع السابق، ص 14./ للمقارنة : محمد حسين آل كاشف الغطا ، أصل الشيعة و أصولها: مقارنة مع المذاهب الأربعة ، دار الأضواء ، بيروت ، ط1، 1990، ص 115، ص 116.

حتى وإن قلّل بعض المؤرّخين من دور ابن سبأ في الفتنة، فهو يعتبر لدى البعض الآخر من بين أبرز الأسباب في إحداثها[1]، فالمسعودي لا يشير إلى دوره ولو تلميحا، عكس ابن خلدون الّذي يحمّله مسؤوليّة اصطناع الأسباب، من خلال مبادرته بالطعن في الخليفة بالبصرة ثم بالكوفة ثم بمصر التي كاتب منها أتباعه بالبصرة[2]، ومن الواضح أنّ اختزال المسعودي لشخصيّة ابن سبأ ودوره كان إمّا منطلقا من عدم اعتقاده بحقيقة وجوده، وإمّا تحميلا- منه - الخليفة عثمانﷺ المسؤوليّة الكاملة فيما نتج، متحاملا بذلك على الأمويين عامة وعلى عثمانﷺ خاصة، بتأثير من تشيعه[3]، غير أنّنا نستبعد الاحتمال الأوّل لعدم إيراد صاحب "المروج" رأيه في ابن سبأ، الّذي لا نجد أدنى إشارة إليه، خاصة وأنّ المسعودي لم يورد في شأن الخليفة إلاّ ما يشينه[4]، إذ يتهمه دون ابن سبأ.

ومن المتوقّع أن يكون ابن سبأ قد فكر في بثّ الفتنة قبل إسلامه، أو مع بداية خلافة عثمان ﷺ، وأنه لم يسلم إلاّ بعد أن استكمل رسم مخطّطه[5]، وبالتّالي فهو لم يستغلّ السّخط على الخليفة[6]، وإنّما كان هو صاحب مخطّط إثارته عليه.

1- الصّلاّبي، المرجع السابق، ص15./ الصّلاّبي ،الدّولة الأمويّة،ج1، ص86./ عثمان الخميس، المرجع السابق، ص80./ طه حسين، المرجع السابق، ص 760.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص141./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص42. سلمان العودة يقول من الكوفة الى البصرة الى مصر. ينظر: نضال عباس دويكات، محمد بن ابي بكر الصديق: حياته وأحواله زمن الفتنة، فلسطين، 2012، ص 18.

3- ينظر حول عقيدة المسعودي: عبد العزيز محمد نور ولي، أثر التشيّع على الرّوايات التاريخيّة في القرن الأوّل الهجريّ، دار الخضري، المدينة المنورة، ط1،1996، ص246-247.

4- محمد نور ولي، المرجع السابق، ص251.

5- هشام جعيط، المرجع السابق، ص 75-76./ للمقارنة: طه حسين، المرجع السابق، ص 761.

6- نايف معروف، المرجع السابق، ص 49.

ولما استكمل ابن سبأ فكرته، أظهر الإسلام والتنسّك والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لإفساد دين الإسلام[1]، وساعده على ذلك أتباعه لمعرفتهم بنقاط ضعف الدولة الإسلامية، مما يدل على أن التّخطيط لبثّ الفتنة كان دقيقا، واستغرق فترة زمنية طويلة، وتمّ عن طريق شبكة من أتباع ابن سبأ.

ولقد تنقّل هذا الأخير مع عصبته في كثير من بلاد الإسلام[2]، وبخاصة البصرة ثمّ الكوفة ثمّ مصر[3]، حيث فتن الكثير بها، حتّى كاتبوا من بالكوفة والبصرة يحرضونهم على الطعن في عثمان[4]، ولقد لقيت دعوة ابن سبأ الاستجابة، وذاعت في كافة الأقطار[5]، ومما ساهم في ذلك، الامتزاج بالعناصر الخارجية والمؤثّرات الأعجمية[6]، خاصة وأنّ الدعوة اقتصرت على الأمصار حديثة العهد بالإسلام[7]، والتي لم تكن قد تخلصت بعد من العصبية الجنسيّة والفكريّة كالعراق.

1- شهاب الدين أحمدبن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط2، 1971، ج3، ص289./ السّيّد أحمد أبو يوسف أبو عبد الرحمن المصري، الشروح الوافية على العقيدة الطحّاوية، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 2007،ج2، ص555./ للمقارنة: طه حسين، المرجع السابق، ص 761.

2- إحسان إلهي ظهير، المرجع السابق، ص31.

3- ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق ، ج2 ، ص141./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص42.

4- ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص335./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص141.

5- نايف معروف، المرجع السابق، ص49.

6- جولد تسيهر أجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، د ت ، ص188.

7- الصّلاّبي، فكر الخوارج والشيعة، المرجع السابق، ص96.

وكان أسلوب ابن سبأ يقوم على السّرية التّامّة في اختياره من يعتقد ويتقبّل دعوته، بالتركيز على أصحاب الأغراض الخبيثة[1]، وتعبئة الرأي العام بالمطاعن[2] التي نسقت بحملة دعائيّة محكمة[3]، مع استمالة النّاس عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4] الذي اتّخذه وسيلة للتمويه على حركته ذات الصبغة الدينية.

ولقد كان ابن سبأ يكثر الطّعن في عثمانﷺ، ويدعي أنه نال الخلافة بغير حق، وأن علياﷺ أولى بها[5]، محاولة منه الإيقاع بين اثنين من كبار الصحابة[6]، ومن هنا

حرّض الناس على عثمانﷺ حتى كاتب بعضهم بعضا[7].

وبهذا راجت الدعوة في أوساط المخدوعين من أهل الأمصار،

1- الصلابي، فكر الخوارج والشيعة، المرجع السابق، ص96.

2- هشام جعيط، المرجع السابق، ص76.

3- المرجع نفسه، ص76-77./ الصّلاّبي، الدولة الأموية، المرجع السابق، ج1، ص84./ الصّلاّبي، حقيقة الخلاف بين الصحابة، المرجع السابق، ص17.

4- الصّلابي، الدولة الأموية، المرجع نفسه، ج1، ص87./ الصّلاّبي، حقيقة الخلاف بين الصحابة، المرجع نفسه، ص16./ نايف معروف، المرجع السابق، ص49./ محمد أمحزون، م س، ج1، ص329.

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص139./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص48./ للمقارنة : علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة خياط، بيروت، د ت، ج4، ص186.

6 - الصّلاّبي، الدولة الأموية، المرجع السابق، ج1، ص87.

7- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص139./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص49./ للمقارنة: القاضي عبد الجبار الجرجاني الهمذاني، طبقات المعتزلة: كتاب فصل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، تحقيق: فؤاد السيد، الدار التونسية، تونس، 1974، ص142.

بمكاتباتهم في جور الأمراء وتعسف الولاة، ومن ثم سوء سياسة عثمانﷺ[1].

وحتى يستكمل ابن سبأ مخططه المزعوم، زوّر كتبا على ألسنة الصحابة تؤيد الشائعات[2]، مما أعطى الثورة شعبية في أوساط المخدوعين من أصحابها. ومن أعماله على سبيل المثال، أنه أمر أعوانه بمصر بالامتناع عن فلاحة الأرض حتى ينكسر الخراج، مما أتاح لهم مطالبة عثمانﷺ بعزل عمرو بن العاص[3]، كما سيأتي ذكره.

ومما يدل على وجود مخدوعين في أوساط الثوار، دفعتهم الدعاية والكذب إلى الثورة[4]، أن بعضهم قدموا على عثمانﷺ سنة 35هـ/ 655م فوجدوه مقدرا للحقوق، خاصة بعد مناظرته لهم ورد انتقاداتهم له، حتى قال الأشتر النخعي[5] أحد زعمائهم: "لَعَلَّهُ مُكِرَ بِهِ وبِكُمْ"[6]، مما

1- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص139./ سيف بن عمر، المصدر نفسه، ص49./ إحسان إلهي ظهير، الشّيعة والتّشيّع، دار الإمام المجدد، القاهرة، ط1، 2005، ص39.

2- عثمان الخميس، المرجع السابق، ص82./ أبو عبد الرحمن المصري، المرجع السابق، ج2، ص538.

3- عدنان ملحم، المرجع السابق، ص241.

4- حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، المرجع السابق، ص178.

5- - مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر (ت 37هـ-657م) أحد الأشراف والأبطال المذكورين شهد صفين مع علي ولما رجع علي من موقعة صفين، جهز الاشتر واليا على ديار مصر، فمات في الطريق مسموما، فقيل: إن عبدا لعثمان عارضه، فسم له عسلا. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 9، 1993، ج4، ص 34.

6- الصّلاّبي، حقيقة الخلاف بين الصحابة، المرجع السابق، ص17.

جعله يعتزل حصار الخليفة بعد ذلك[1]، إضافة إلى أن أحد الثوار دخل عليه لقتله، فلما رأى هيبته وقراءته القرآن تراجع، فسأله عثمانﷺ عن ذلك، فقال له:"إنا جئنا لقتلك، فإن القوم كتبوا لنا أنك كفرت وارتددت وما أراك إلا إماما صالحا قواما" [2].

ومن هنا نخلص إلى القول أن هدف ابن سبأ كان الخروج على عثمانﷺ[3]، ومن ثم قتله، وصولاً إلى هدم الكيان الإسلامي والقضاء على الدولة الإسلامية[4]، كما سبق أن ذكرنا . وبهذا كان ابن سبأ سببا رئيسا في إثارة الفتنة التي قُتل فيها الخليفة[5]، فقد جنى وأتباعه على الخليفة[6].

ثانيا: الأسباب الشخصية في الفتنة:

إضافة إلى ابن سبأ وعمله على بثّ الفتنة، والدّعاية ضد عثمانﷺ وسياسته، للوصول إلى الثورة عليه، كانت هناك أسباب أخرى، تخص الثّوار أنفسهم، وعلى رأسهم من كان مع ابن سبأ، والتي نعتبرها أسبابا خاصّة في العموم، وإن اختلفت شكليّاتها .

1- نايف معروف، المرجع السابق، ص51.

2- المرجع نفسه، ص50.

3- الصّلاّبي، الدولة الأموية، المرجع السابق، ج1، ص87.

4- إحسان إلهي ظهير، المرجع السابق، ص109.

5- السيد عبد العزيز سالم وسحر السيد عبد العزيز، نصوص تاريخية في التاريخ الإسلامي: باللغة الانجليزية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002، ص290.

6- الصّلاّبي، فكر الخوارج والشّيعة، المرجع السابق، ص91./ نايف معروف، المرجع السابق، ص49-51. / أبو عبد الرحمن المصري، المرجع السابق، ج2، ص555.

وفي هذا الصّدد يقول ابن خلدون أنّ أهل الأمصار لم يكونوا أهل صحبة، إلاّ قليلا منهم، وأنّه كان لهم فضل أهل السّابقة في الفتوحات التي شاركوهم فيها، فلمّا استحكم الملك وذّل العدو أنفوا من رياسة أهل السّابقة عليهم، و تهميش فضلهم فيما قدّموه زمن الفتوحات، فأظهروا الطّعن في الولاة، وتنادوا بالظّلم منهم حتّى فشت مقالتهم في الإنكار على عثمان رضي الله عنه[1]، وهذا ما اتّضح علنًا في أحد مجالس سعيد بن العاص[2] سنة 33هـ /653م، وهو مع كبار الناس وأهل القادسية[3]، بما فيهم من ثار على عثمان رضي الله عنه، إذ قال سعيد ـ وهو يقصد الأمصار المفتوحة ـ:" إنما هذا السواد بستان قريش"، فثار هؤلاء عليه، واجتمعوا يطعنون في سعيد وعثمان رضي الله عنه[4].

كما آخذ بعض زعماء الثّوار الخليفة ببعض المآخذ، كالذي حكاه "صاحب العبر" عن حمرانَ ابنِ أبّان[5]، الذي حقد على عثمان لأنّه

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص138./الطبري، المصدر السابق،ج4، ص281./ عثمان الخميس، المرجع السابق، ص83.

2- سعيد بن العاص (03- 59هـ/ 624- 679م)، أموي قرشي، ربي في حجر عمر بن الخطاب، ولاه عثمان الكوفة وهو شاب، وهو فاتح طبرستان. محمد بن سعد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1968، ج5، ص30-35.

3- القادسية: عند الكوفة، وهي أول مرحلة لمن خرج من الكوفة إلى المدينة ومكة، وهي قرية كبيرة فيها حدائق نخل ومشارع من الماء الفرات. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص447- 448.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص140./ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص323.

5- حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، توفي بعد 80هـ/699م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج4، ص 182- 183.

ضربه لزواجه من امرأة في عدّتها، وسيّره إلى البصرة[1]، مما دعاه إلى التحريض ضد الخليفة.

نفس الأمر نلمسه عند عمرو ابن الحمق[2]، الذي طعن عثمانﷺ، عند قتله، تسع طعنات وقال:" أمّا ثلاث منّهن فللّه، وستّ لما كان في صدري عليه"[3]، مما يدل على أنّ الدافع الذاتي لقتل عثمانﷺ كان عنده أعظم من أي دافع آخر.

كما أنّ عمير بن ضابئ[4]نزا على نعش عثمانﷺ وهو موضوع للصّلاة عليه، فكسر ضلعا من أضلاعه وقال:"أَحَبستَ ضابئًا[5]حتّى مات في السّجن"[6]، وكان السبب في سجن ضابئ أنه رمى أمّ بعض بني جزول بن نهشل بكلب[7]، فقال له عثمان وقد حبسه:"واللّه لو أن رسول

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص141./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص42.

2- عمرو بن الحمق، بن كاهل أو كاهن الخزاعي الكعبي، (ت 50هـ- 670م) صحب النبي ﷺ، ونزل الكوفة وشهد مع علي مشاهده، وكان فيمن سار إلى عثمان وأعان على قتله. ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص 25.

3- ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص249.

4- عمير بن ضابئ بن الحارث البرجمي: شاعر، من سكان الكوفة، كان ممن دخل على عثمان يوم مقتله، ووطئه برجله، أعدمه الحجاج سنة (75هـ/ 694م). الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 15، 2002، ج5، ص89.

5- ضابئ بن الحارث بن أرطأة من بني غالب، من فحول الشعراء، توفي زمن عثمان. ينظر: عبد اللّه بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، تحقيق: مفيد قميحة، ومحمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005،ص205.

6- ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص254.

7- وكان فيما قال:

فيا راكباً إمَّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ ... ثُمَامَةَ عَنَّي والأُمُورُ تَدُورُ
فأُمَّكُمُ لا تَتْرُكُوها وكَلْبَكُمْ ... فإن عُقُوقَ الوالدات كبيرُ
فإنَّكَ كَلْبٌ قد ضَريتَ بما تَرَى ... عليمٌ بما فَوْقَ الفِرَاشِ خَبِيرُ.

ينظر: ابن قتيبة، المصدر السابق، ص205.

اللّه حيّ، لأحسبنّه نزل فيك قرآن، فما رأيت أحدا رمى قوما بكلب"[1]، وهذا ما يفسر حنق عمير وحقده على عثمانﷺ.

ونلمح في ذوات هؤلاء الثوار، نوعا من العصبية الجنسية التي صنعت أولى مظاهر الشعوبيّة في الإسلام، فلقد كان الفرس يتحيّنون الفرص لاستعادة أمجادهم، فانضموا إلى الثّوار وأعانوا اليهود على بثّ الفتنة زمن عثمانﷺ [2]، ووصل الأمر ببعضهم إلى أن قالوا، وهم يريدون عزل الخليفة، "أن يُرجع خلافتنا إلينا"[3]، فمن أين جاء هؤلاء بهذه الفكرة التي لم تشهدها السلطة الإسلامية؟ كما يتساءل جعيط[4].

ومن الملاحظ والجليّ أن صاحب "المروج" وصاحب "العبر" لم يهتما بهذه الأسباب، ولم يعتبراها من بين الدوافع الرئيسة في الثورة على عثمانﷺ وتصفيته، وإن كان ابن خلدون أورد القليل منها، عكس المسعودي الذي لم يلق لها بالاً.

ثم إن نظرة إلى ما قدمناه، توحي إن لم تجسد أنّ الفتنة والثورة على عثمانﷺ لم تكن ثورة من أجل التّغيير الايجابيّ، وإنّما كانت ثورة تغيير لا تعود على الدولة الإسلامية إلا بما هو سلبيّ، إذ أن الهدف كان إقصاء الخليفة وهدم الكيان الإسلامي، خاصة وأنّ القائمين على هذه الثورة لم يكن لهم أيّ داع منطقيّ حقيقيّ للمطالبة والسّعي نحو التّغيير إلاّ ما اصطنعوه من أسباب ملفقة في سبيل الوصول إلى أهدافهم، كما سيأتي ذكره.

1- المصدر نفسه، ص205.

2- إحسان إلهي ظهير، الشّيعة والسنّة، المرجع السابق، ص55-56.

3- هشام جعيط، المرجع السابق، ص135.

4- المرجع نفسه، ص135.

المبحث الثاني: الأسباب غير الحقيقية للفتنة:

من المنطقي في صناعة الثورة، أن يكون للقائمين عليها دوافع وراء خلق حركة شعبية ترسم معالمها، غير أن النهوض بهذه الحركة لابد له من تأييد واسع النطاق، ومن الطبيعي أن هذا الأمر لم يكن مجهولا من طرف مثيري الفتنة، وهذا ما يثبت أن الفتنة كانت نتيجة جهد طويل استُغرق في صناعة أسباب مقنعة لها.

فكان لزاما على صنّاع الثورة ومثيري الفتنة أن يخطّطوا لذلك وفق الظروف الاجتماعية، التي كان لابد أن تكون الأسباب المصطنعة ذات علاقة محكمة بها، الأمر الذي يعطي الثورة أسبابا وجيهة للقيام بها، وكأنها ثورة اجتماعية سببها الحقيقي الظروف التي عاشها المجتمع والتي يتظاهر أفراده بتغييرها.

غير أن هذه الأسباب والتي كانت في مجملها اتّهامات وانتقادات للسلطة الحاكمة، كانت مغايرة للأسباب التي طرحها الثوار لثورتهم، إذ أن الكثير من الرواة والمؤرخين أضافوا إليها اتهامات من وحيهم، وعلى رأس هؤلاء رواة الشيعة، كونهم منسوبين إلى من بث الفتنة ضد عثمان رضي الله عنه [1]، وذلك لسببين هما: تغطية دور ابن سبأ، وبالتالي نفي وجوده وتحميل عثمان رضي الله عنه تلك الاتهامات، وإعطاء الثوار صورة شرعية في الثورة عليه.

ويمكننا توزيع هذه الانتقادات والاتهامات على مرحلتين هما:

1- إحسان إلهي ظهير، الشّيعة والتّشيّع، المرجع السابق، ص63-64.

أولا: مرحلة انتقاد الولاّة:

تعتبر هذه المرحلة أهم المراحل الدعائية في استقطاب أنصار الثورة، بحيث كان لولاة الأمصار دور كبير في الفتنة من خلال ما اتُّهموا به، خاصة وأنهم كانوا من أسباب الثورة[1] بشكوى الناس منهم[2]، وإن كانت هذه الشكاوى باطلة اصطنعها مثيروا الفتنة[3]، خاصة مع مكاتبات أهل الأمصار بذلك، مما يدفع إلى تقبل هذه الشائعات.

ولا نستطيع القول أن كل ما أخذ على الولاّة باطل لا صحة له، إذ لو كان الأمر كذلك لأثيرت الشكوك حول مصداقية هذه الحركة، وحتى لا يحدث هذا، انتُقد الولاّة في أمور واقعة، وإن كانت من الصغائر[4] التي لا يؤاخَذ عليها أحد.

ومما نقمه هؤلاء على ولاّتهم، قصّة صّلاة الوليد بن عقبة[5] بالناس ثملا[6] والتي شوّه بها المسعودي صورة الخليفة، الذي رفض

1- الجرجاني، المصدر السابق، ص142.

2- ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت، ج1، ص458.

3- حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، المرجع السابق، ص161.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص138.

5- الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب، الأموي القرشي: وال من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم، وهو أخو عثمان ابن عفان لأمه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة. مات بالرقة سنة(61هـ/ 680م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1982، ج3، ص412 وما بعدها ./ الزركلي، المرجع السابق، ج9، ص143.

6- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص369- 370./ للمقارنة: طه حسين، المرجع السابق، ص 732-733.

شكاية أهل الكوفة منه لولا تدخل عليّ رضي الله عنه[1] المخالف على الدوام لشخص عثمان رضي الله عنه، حسب ما يصوره صاحب "المروج"، رغم إشارته إلى أن هذه الحادثة كانت سبب عزل الوليد وتولية سعيد بن العاص[2] من طرف الخليفة كما يصرّح بذلك ابن خلدون[3]، وإلا فالمسعودي يقول ضمنيًا أنّه عزله تحت الضّغوط ودون رغبة منه.

ويظهر من خلال ما أورده صاحب "المروج" أن عثمان رضي الله عنه دافع عن الوليد، رغم أن كل الأدلة تثبت أنه شرب الخمر، وأن الناس سكتوا على إقامة الحد عليه اتقاء غضب عثمان رضي الله عنه[4]، مع أن سعيد بن العاص هو من جلده، وبحضور الخليفة[5]، فكيف يصح القول أن عثمان دافع عنه؟! ورغم هذا فإنّ شرب الوليد للخمر وفسوقه غير ثابت[6].

ويضيف المسعودي أن الوليد استأنس بفرجته على ساحر يهودي بالمسجد، وطلب قتل جندب بن كعب الأزدي[7] الذي قتل الساحر بحضرة الوليد[8]، غير أن الطبري يذكر أن الوليد شاور عبد اللّه بن

1- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص370- 371.

2- المصدر نفسه، ج2، ص370- 371./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص140.

3- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص140.

4- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص370- 371./ محمد نور ولي، المرجع السابق، ص250.

5- ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص325./ للمقارنة: المسعودي، المصدر نفسه، ج2، ص371.

6- حمدي شاهين، المرجع السابق، ص161.

7- جندب بن كعب الأزدي صحابي، قاتل الساحر عند الوليد بن عقبة، شهد صفين مع علي رضي الله عنه، وتوفي بها. الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص 175.

8- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 374./ البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص31-32./ اليعقوبي، المصدر السابق، مج2، ص165.

مسعود في ساحر عرض عليه، فقال ابن مسعود بقتله، فلما همَّ بذلك أتّهمه قوم بفرجته على الساحر، فقتل جندبُ الساحرَ، فسجنه الوليدُ بمشورة ابن مسعود[1]، مما جعل القصة محبوكة بطريقة تحمّل الوليدَ المسؤوليّة كاملة لإثارة الناس ضدّه، مع أنه كان أحبّ الناس إليهم، وأرفقهم بهم طيلة ولايته[2]، وهو أسلوب تمويهي يصوّر الحادثة على غير ما وقعت.

وبطبيعة الحال لم يسلم سعيد بن العاص من انتقادات أهل الكوفة له ومن ثم لعثمان رضي الله عنه[3]، لاسيما مع سياسته في تفضيل أهل السابقة، الأمر الذي أنشأ فجوة اقتصادية بين السابقين واللاحقين[4]، فبثّ أهل الفتنة انتقاداتهم له وللخليفة، فلما أكثروا كاتب سعيد عثمان رضي الله عنه فيهم بطلب من أهل الكوفة[5]، فسيّرهم إلى معاوية[6] الذي سيّرهم بدوره، بأمر من الخليفة، إلى حمص وكان عليها عبد الرحمن بن خالد[7]، الذي

1- الطبري، المصدر السابق، ج4، ص275./ للمقارنة: طه حسين، المرجع السابق، ص 734.

2- الطبري، المصدر نفسه، ج4، ص271./ ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص322./ للمقارنة: طه حسين، المرجع نفسه، ص 734.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص140.

4- عدنان ملحم، المرجع السابق، ص136-137.

5- الصّلاّبي، الدولة الأموية، المرجع السابق، ج1، ص89.

6- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 140./ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص319./ للمقارنة: سيف بن عمر، المصدر السابق، ص 36-37./ البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص40.

7- عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أدرك النبي ﷺ، شهد صفين مع معاوية، توفي مسموما من طرف طبيب يهودي بإيعاز من معاوية. ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة النهضة، مصر، دت، ق1، ص 499.

خشوا سطوته[1]، الأمر الذي اختزله المسعودي في كلامه عن سعيد[2]، حيث اكتفى بقوله أن سبعين رجلا، فيهم الأشتر النّخعيّ، قصدوا عثمان يشتكون ويطلبون عزل سعيد، حتى قدم ولاّة الأمصار عليه وهو رافض لطلبهم، فعادوا إلى الكوفة قبل سعيد بن العاص فبايع الأشترَ عشرةُ آلاف من أهلها على أن يمنعوا دخول سعيد[3]، وهذا ما لم يذكره ابن خلدون رغم إشارته إلى عودة الأشتر من المدينة في غياب سعيد، بل ذكر أن يزيد بن قيس[4] خرج يريد خلع عثمان رضي الله عنه لولا أن بادره القعقاع[5] بالاستعفاء من سعيد، فكاتب يزيد المسيَّرين إلى حمص في القدوم، فساروا إليه وقد سبقهم الأشتر فخرجوا ونزلوا الجَرَعة[6] فردوا سعيدا إلى عثمان رضي الله عنه فأخبره أنهم يريدون أبا موسى الأشعريّ فولاه عليهم[7]، وبذلك هدأت الأوضاع نسبيا بفضل سعيد الذي لم يواجه الثوار[8].

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص141./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص39-40./ للمقارنة: البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص43.
2- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص372/ للمقارنة: ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص140-141.
3- المسعودي، المصدر نفسه، ج2، ص372-373./ للمقارنة: سيف بن عمر، المصدر السابق، ص45./ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص335.
4- يزيد بن قيس بن تمام بن حاجب الأرحبي أدرك النبي ﷺ وسكن الكوفة، قتل في صفين سنة (37 هـ/657م). الزركلي، المرجع السابق، ج9، ص241-242.
5- القعقاع بن عمرو التميمي، أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام، له صحبة، شهد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع الفرس، أدرك وقعة صفين فحضرها مع علي، (ت 40هـ/ 660م) . ابن عبد البر، المصدر السابق، ج2، ص156./ الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص48-49.
6- الجرعة: موضع قرب الكوفة، ذو سهولة ورمل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مكتبة خياط، بيروت، دت، ج2،ص62.
7- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص141./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص46-47./ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص331- 332./ للمقارنة: المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص372-373./ البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص44-47.
8- ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص335./ الصّلاّبي، المصدر السابق، ج1، ص96.

ويمكننا القول أن رسالة مجهولة المصدر وصلت عثمانﷺ احتجاجا على تسيير المنتقدين من الكوفة إلى الشام[1]، مما يوحي أن أمرا كان يدبر في الخفاء، وربما ضدّ الخليفة نفسه، خاصة وأن ابن سبأ كان قد رتّب مسألة الخروج على عثمانﷺ في هذه السنة (34هـ/654م)، حيث اضطر يزيد بن قيس إلى تعديل الخطة لوقوف القعقاع ضد وجهته، وعدم إظهار نوايا الثوار[2]، ولعل هذا ما يدل على علاقة الرسالة بيزيد، لاسيما مع استدعائه للمسيَّرين إلى حمص، والرّاجح أنّ الخليفة كان يعتقد ذلك، ومن هنا تساهل في مسألة عودة المسيَّرين إلى الكوفة، لعدم ورود أيّة رواية عن اعتراضه أو اعتراض والي حمص على ذلك.

ففي الوقت الذي قال فيه ابن خلدون أنّ ولاية أبي موسى كانت باختيار أهل الكوفة له[3]، أوحى المسعودي، بأسلوب غير مباشر، أنه فُرِض عليهم من طرف عثمانﷺ [4] بعد أن شاور أمراء الأمصار في اجتماعه بهم سنة 34هـ/ 654م[5]؛ الأمر الذي لا نعتقده، لأن طبيعة السياسة في ظرف كهذا لا تقتضي فرض والٍ على من رفض الخليفةَ نفسَه.

1- هشام جعيط، المرجع السابق ، ص107-108./ حول مناظرة معاوية بن ابي سفيان للثوار بعد تسييرهم الى بلاد الشام ينظر: الملحق رقم:03.

2- الصّلاّبي، المرجع السابق ، ج1، ص95-96.

3- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص140./ سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص47./ الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص332.

4- المسعودي ، المصدر السابق ، ج2، ص373.

5- المسعودي، المصدر نفسه ، ج2،ص 372./ حول جلسة الشورى التي قام بها أمير المؤمنين عثمان مع أمراء الأمصار ينظر: الملحق رقم:02.

وعلى عكس صاحب "المروج"، يرى ابن خلدون اجتماع الولاة بعثمان بعد عزل سعيد، الذي لم يشارك فيه إلا برغبة الخليفة فحسب[1]، وليس باعتباره واليا على الكوفة.

ولعب مثيرو الفتنة دورا أكبر من هذا في التخلص ممن خافوا معه افتضاح مخططهم، كعملهم على عزل عمرو بن العاص سنة 27هـ/ 647م، وهذا ما لم يتطرق إليه كلا من صاحب "المروج" وصاحب "العبر"، وملخصه أن ابن سبأ أمر أتباعه، كما ذكرنا، بعدم الزراعة حتى ينكسر الخراج، فلما حدث ذلك طالبوا بعزل عمرو بن العاص، فعزله عثمانرضي الله عنه مرغما لإلحاح أهل مصر، رغم أنه رفض طلبهم في بداية الأمر[2]، ثم ولى عبد الله بن سعد أبي سرح[3]على الخراج[4] بطلب منهم واختيارهم له[5]، وسعى السبئية بالنميمة بين عمرو وابن أبي سرح، حتى شكا هذا الأخير ابن العاص، وخرج هؤلاء يؤيدون ابن أبي سرح فعزل الخليفة عمرا نهائيا[6]، وبذلك أقصى صناع الأسباب من لم يستطيعوا معه تنفيذ خططهم.

1- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2، ص144.

2- عدنان ملحم، المرجع السابق ، ص241.

3- عبد الله بن سعد أبي سرح القرشي العامري أخو عثمان رضي الله عنه من الرضاعة توفي سنة 37 هـ/ 657 م، أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها. وولي مصر سنة 25 هـ/ 645م، افتتح المناطق بين طرابلس الغرب وطنجة، ودانت له إفريقية، غزا الروم بحرا، وظفر بهم في معركة " ذات الصواري " سنة 34 هـ/654م. ابن عبد البر، المصدر السابق ، ج1، ص 549- 550.

4- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص128.

5- حمدي شاهين، المرجع السابق ، ص160.

6- ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق ، ج7، ص337./ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2، ص128./ عدنان ملحم، المرجع السابق ، ص 241.

ومن الواضح أن عثمان لم يكن في غفلة عن هذا، خاصة وأنه أكد لعمرو بن العاص أنه لن يجابه السبيئة حتى ينتهكوا الحرمات ويعصوا أوامر الله[1]، هذا مع عدم إغفاله استطلاع الأمور[2]منذ بداية الوهج الأول لنار الفتنة في الأمصار.

ولقد أدى ما ذكرنا بطبيعة الحال إلى أن ينعكس الوضع سلبا على الأمصار نفسها، الأمر الذي تجلت فيه المظاهر الأولى للمعارضة وبالتالي فقْدُ السيطرة تدريجيا على سيرورة هذه الأوضاع وعدم التحكم في تطوراتها.

ثانيا: مرحلة انتقاد الخليفة:

لا نستطيع القول أن انتقاد عثمان كان بعد انتقاد ولاته، ذلك أن الأمرين كانا متزامنين عبر أطوار العمل على بث الفتنة، ولكننا سوف نتحدث عن صفة الجهر بهذه الانتقادات خلال طور الثورة فقط، وليس في فترة خلافة عثمان إجمالا.

فالملاحظ أن المسعودي يحمّل الخليفة تبعات الثّورة عليه، بل ويحمّله كل ما نتج عن الفتنة، بإيحائه أنه لم يكن أهلا للخلافة، على حد قول عمار بن ياسر[3]، وكأن الخليفة كان كمن حرص على أن تزيد هوة الفوارق بين الطبقات اتساعا، في وقت دعت الحكمة إلى محوها وتضييقها، ولكنه كان يحمل في صدره قلبا لا تنعكس عليه مشاعر

1- عدنان ملحم، المرجع نفسه ، ص241.

2- ينظر: ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2، ص139./ سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص49-50.

3- المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص379./ للمقارنة: محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، دار رؤية ،القاهرة، ط6، 2006، ص26.

شعبه[1]، نفس الأمر نجده عند صاحب "العبر"، لولا أنه يحصر ذلك في إقرار عثمانﷺ لما يقوله مروان[2]، وكأن هذا الأخير يسوق الخليفة في الحكم حيث يشاء[3]، أو أن عثمانﷺ ليس ذلك الرجل الذي اجتمعت عليه الكلمة في أنه أولى الناس وأحقهم بالخلافة[4].

وفي سنة 35هـ/655م كثر الطعن في عثمان، وظهر النكير عليه[5]، وأُخذت عليه مآخذ امتد بعضها إلى بداية خلافته، بل وقبل أكثر من عقد قبلها، وكانت في مجملها مجرد أسباب دعائية للثورة عليه، خاصة إذا تساءلنا عن سبب الجهر بهذه الانتقادات في هذه الفترة تحديدا.

ونستطيع تصنيف هذه الانتقادات إلى قسمين هما:

1- انتقادات عامة: وتتمثل في تحميل الخليفة ما لم يفعله، وما لا علاقة له به، كمؤاخذته بما انتُقد به وُلاَّته، وتحميله ما فعلوه، مما ذكرنا سابقا، ومحاولة الثوار الطعن في سياسته وتدبيره أمور الحكم والتسيير.

1- عبد الفتاح عبد المقصود، الإمام علي بن أبي طالب، مكتبة العرفان، بيروت، د ت، ج2، ص17.

2- مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك (2 - 65 هـ/623 - 685 م) ولد بمكة، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة، فلما كانت أيام عثمان جعله في خاصته واتخذه كاتبا له. ابن عبد البر، المصدر السابق، ج2، ص 224-226./ الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص94.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص147./ عبد الفتاح عبد المقصود، المرجع السابق، ج2، ص17.

4- عثمان الخميس، المرجع السابق، ص 72-73.

5- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص373.

كما حمّل صاحب "المروج" عثمانﷺ فحش ثراء بعض الصحابة[1]، متناسيا أنهم كانوا ذوي مراس في التجارة[2]، محاولة منه إظهار الطبقية في المجتمع حينها، خاصة وأنه حاول مقارنة فترة خلافة عثمانﷺ بفترة خلافة عمرﷺ[3].

2- انتقادات خاصة: وتتمثل في المطاعن الذاتية، وما يتعلق بالخليفة نفسه، وهي الأسباب المباشرة في صبغ الثورة على عثمانﷺ بالمشروعية، وهي على التوالي فيما ذكره المسعودي وابن خلدون:

إعادة الحكم بن أبي العاص[4] إلى المدينة بعد أن نفاه رسول اللهﷺ عنها[5]، ورد الخليفة على ذلك بقوله أن النبيﷺ نفاه، ثم رده[6]، وبالتالي فلا علاقة لعثمانﷺ برده، وإنما استدعاه فقط للإقامة بالمدينة.

1- المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص367-368./ المقارنة: عبد الفتاح عبد المقصود، م س، ج2، ص13./ برنارد لويس، الإسلام في التاريخ: الأفكار والناس والأحداث في الشرق الأوسط ، ترجمة: مدحت طه، تقديم: أحمد كمال أبو المجد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص442-443.

2- ينظر على سبيل المثال: ابن عبد البر، المصدر السابق ، ق2، ص514، ص847.

3- المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص369./ محمد نور ولي، المرجع السابق ، ص249.

4- الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الاموي: صحابي، أسلم يوم الفتح وسكن المدينة،عم عثمان بن عفان، فكان فيما قيل يفشي سر رسول الله ﷺ فنفاه إلى الطائف، وأعيد إلى المدينة في خلافة عثمان، فمات فيها سنة (32 هـ / 652 م) وقد كف بصره. ابن عبد البر، المصدر السابق ، ج1، ص 214-215.

5- المسعودي ، المصدر السابق ، ج2، ص369./ سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص56./ ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص338.

6- سيف بن عمر، المصدر نفسه ، ص56./ ابن كثير، المصدر نفسه ، ج7، ص338.

كما عد المسعودي، ضمن المآخذ، ما حدث بين الخليفة وعبد الله بن مسعود[1]، إضافة إلى ما ناله عمار بن ياسر من الضرب[2]، وكذا قصة أبي ذر الغفاري، الذي يصوره في مظهر الذليل المساق من الشام إلى المدينة والمجبر على مغادرتها إلى منفاه بالربذة[3]_[4].

عكس ابن خلدون الذي برر موقف أبي ذر من ترك المدينة بوصية من النبي ﷺ بمغادرتها إذا بلغ البناء سلعا[5]_[6]، وقد استأذن عثمانَ رضي الله عنه فأذن له في ذلك[7]، وكان أبو ذر يتعهد المدينة بين الحين والآخر[8]، مما يدل أنه لم ينف إلى الربذة كما قيل.

1- المسعودي ، المصدر السابق ، ج2، ص373./ البلاذري، المصدر السابق ، ج5، ص36-37./ الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص274.

2- المسعودي، المصدر نفسه، ج2، ص374./ غريغوريون بن أهرون الملطي ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2001، ص104./ للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، مكتبة العبيكان، الرياض، ط01، 1999، ج01، 90-94.

3- الربذة: من قرى المدينة و فيها منزل أبي ذر رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ وفيها قبره ومسجد جامع، وهي من القرى القديمة في الجاهلية. إليها نفى عثمان أبا ذر رضي الله عنه فمات بها سنة اثنتين وثلاثين. الحميري، المصدر السابق، ص 266./ الحموي، المصدر السابق، ج2، ص749.

4- المسعودي ، المصدر السابق، ج2، ص375-377./ البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص52-53./ اليعقوبي، المصدر السابق، مج2، ص171-172./ للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص104-112.

5- سلع: جبل متصل بالمدينة. الحميري، المصدر السابق، ص319.

6- علا الدين البرهان فوري،كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م، ج5، ص 789، ح: 14392.

7- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص139./ البلاذري، المصدر السابق ، ج5، ص52./ اليعقوبي، المصدر السابق ، مج2، ص172.

8- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1985، ج2، ص68.

إضافة إلى ذلك، قصة عبيد الله بن عمر[1]، وقتله للهرمزان، وترك عثمانﷺ القصاص منه بمشورة عمرو بن العاص[2]، واعتبر المسعودي ذلك خطأ اقترفه عثمانﷺ من خلال إيراده طلب عليﷺ لعبيد الله حتى يقتله قصاصا للهرمزان[3]، بينما يقول ابن خلدون أن الخليفة دفع الدية عنه[4]، بل قيل: أن عثمانﷺ قدم عبيد الله لابن الهرمزان لقتله فرفض[5]، وبذلك يكون الخليفة بريئا من هذا الاتهام.

ومما أخذ عليه كذلك، إعطاؤه مروان بن الحكم خُمُس مغانم إفريقية، وذكر صاحب "العبر" أنه دفع عن الخمس خمسمائة ألف دينار وضعها عثمان من ماله عما قدمه لمروان[6].

ومن ذلك، زيادته النداء على الزوراء[7] وإتمامه الصلاة بمنى وعرفةً بعد أن كانت قصرا؛ الأمر الذي برره الخليفة نفسه[8] وعلي بن

1- عبيد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، ولد في عهد النبيﷺ وكان من شجعان قريش وفرسانهم، شهد صفين مع معاوية وقتل فيها (37هـ/657م). أبو الحسن عز الدين علي ابن الأثير الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، دت، مج3، ص342-343.

2- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص139./ البلاذري، المصدر السابق ، ج4، ص239./ للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص95-100.

3- المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص420.

4- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص126./عثمان الخميس، المرجع السابق ، ص95.

5- الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص243-244./ عثمان الخميس، المرجع نفسه، ص95.

6- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص139-140./ البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص28./ للمقارنة: سيف بن عمر، المصدر السابق، ص56.

7- الزوراء المتصلة بالمدينة التي زاد عليها عثمان النداء الثالث يوم الجمعة لما كثر الناس، وقيل: دار لعثمان بالمدينة. لأحيحة بن الجلاح. الحميري، المصدر السابق، ص295./ الحموي، المصدر السابق ، ج2، ص955.

8- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص140./ سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص55./ البلاذري، المصدر السابق ، ج5، ص39.

أبي طالبرضي الله عنه[1] ، هذا إلى جانب سقوط خاتم النبيصلى الله عليه وسلم من يده في بئر أريس[2] ولم يُعثر عليه[3]، واتهم الخليفة بإضاعته.

والملاحظ أن المسعودي في كتابه لم يتدخل من قريب أو من بعيد للدفاع عن عثمانرضي الله عنه، عكس ابن خلدون الذي حاول رد هذه الاتهامات عن الخليفة. وأما ما لم يذكراه من الانتقادات الموجهة ضده، فمنها تولية أقاربه وعزل الصحابة[4]، كتولية ابن أبي سرح[5]، وأنه استعمل الأحداث[6]، ولكن عثمانرضي الله عنه لم يول أحدا على حساب المسلمين[7]، وقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم أحدث سنًّا من ولاة عثمانرضي الله عنه[8] ، وبالتالي فليس في الأمر بدعة، ولا هو أول من فعل ذلك، وأما عن ابن أبي سرح فقد اختاره أهل مصر ولم يجبرهم عليه، كما سبق أن ذكرنا .

1- ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص334، ص334-335./ للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص85-89.

2- بئر أريس على ميلين من المدينة وكانت من أقل تلك الآبار ماء، وفيها تفل النبي ﷺ فعاد ماؤها عذباً وكان أجاجاً، وفيها سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان رضي الله عنه عنه فلم يوجد إلى الآن على قلة مائها وذلك سنة ثلاثين. الحميري، المصدر السابق، ص22.

3- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص140./ أبو الفدا إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، ترجمة: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ج1، ص234./ للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص101.

4- إبن كثير، المصدر السابق، ج7، ص 334-335.

5-أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ج1، ص19./ ابن كثير، المصدر نفسه، ج7، ص323.

6- سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص56./ ابن كثير، المصدر نفسه ، ج7، ص 338.

7- الصلابي، المرجع السابق ، ج1، ص73.

8- سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص56./ ابن كثير، المصدر السابق ، ج7،ص 338./ الصلابي، المرجع نفسه، ج1، ص74.

ومما انتقد عليه الخليفة، إيثاره لأهله على غيرهم[1]، فقد كان رسول اللّهﷺ يؤثر قريشا على غيرها، كما قال علي بن أبي طالبرضي الله عنه[2]، وقد رد عثمانرضي الله عنه على هذا بقوله:" أما حبي لهم، فإنه لم يمل معهم إلى جور، بل أحمل الحقوق عليهم...وأما إعطاؤهم فإني إنما أعطيهم من مالي، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس..." [3].

أما عن أرض السواد، وأنه أعطاها رجالا مع مشاركة غيرهم فيها[4] باعتبارها ملكا عاما تابعا للدولة، فمن المجحف القول بأن الخليفة عجز عن بحث هذه المسألة وأنها كانت ستعود على بيت المال بالضرر[5]، ذلك أنه لما سمح للصحابة بالانسياح في الأمصار باع أرض السواد لهم بما يملكون من الأرض بالحجاز[6] حتى يخدموها ويعود خراجها إلى بيت المال، إضافة إلى بقاء أرض المدينة ملكا للدولة ولعموم الناس، وهذا من أحكم ما فعله عثمان في تنمية اقتصاد الدولة.

ومن الانتقادات أيضا، أنه وسع المسجد الحرام[7] ومسجد رسول اللّهﷺ [8]، الأمر الذي اعتبره الثوار بدعة من طرفه.

1- سيف بن عمر، المصدر السابق، ص56.
2- إبن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص 338.
3- الصلابي، المرجع السابق ، ج1، ص72./ حمدي شاهين، المرجع نفسه، ص 163- 164.
4- سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص57./ للمقارنة: برنارد لويس، المرجع السابق، ص 442.
5- فان فولتن، المرجع السابق ، ص141.
6- الطبري، المصدر السابق ، ج3، ص 589./ طه حسين، المرجع السابق، ص759.
7- الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص251./ اليعقوبي، المصدر السابق ، مج2، ص164./ ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص722.
8- البلاذري، المصدر السابق ، ج5، ص38./ اليعقوبي، المصدر السابق ، مج2، ص166.

إضافة إلى أنه حمى الحمى[1]، والذي رد عليه الإمام علي﵁ بقوله أن عمرا﵁ سبقه إلى ذلك[2]، كما قال عن جمعه للقرآن وإحراقه للمصاحف[3]، أنه أحرق منها ما وقع فيه اختلاف وأبقى على المتفق عليه[4]، وأضاف أنه لو لم يفعله عثمان﵁ لفعله هو[5].

ومن ذلك غيابه عن بيعة الرضوان، وفراره يوم أحد وتغيبه عن معركة بدر[6]؛ فأما البيعة فبايع النبيﷺ عنه[7]، وأما فراره يوم أحد فلم يكن وحده، وكلهم مغفور لهم لقوله تعالى :" **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** "[8]، وأما غيابه عن بدر، فلأنه كان

1- سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص55./ البلاذري، المصدر نفسه، ج5، ص38.

2- ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص338./ للمقارنة: سيف بن عمر، المصدر نفسه، ص55./ للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص70-72.

3- سيف بن عمر، المصدر نفسه، ص56./ للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص73-74.

4- ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص338.

5- المصدر نفسه، ج7،ص338.

6- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، د ط، 2006، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عثمان بن عفان ﵁، ح: 3698، ج2، ص559.

7- محمد ابن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: محمد علي القطب، محمد الدالي بلطه، المكتبة العصرية، بيروت، 2007، ج2، ص290./ البخاري، المصدر نفسه، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عثمان بن عفان ﵁، ح: 3698، ج2، ص559./ الترمذي، المصدر السابق، كتاب: المناقب، باب: مناقب عثمان بن عفان، ح: 3702، مج6، ص70- 71. / للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص67-69.

8- آل عمران، الآية: 155.

يُمـرِّض زوجتـه ابنـة رسـول اللهﷺ، فقـال لـه الـنبيﷺ:"إن لـك أجـر رجـل شهد بدرا وسهمَه"[1].

وهذا مجمل ما استقصينا من الانتقادات التي اتُّهم بها الخليفة، والتي أعلنها الثوار بعد المسير إليه، كما سيأتي، فرد عليها ردا أفحم أصحابها[2]، وأقنع الصحابة بمواقفه، حتى طالبوه بتأديب الثوار، إلا أنه صفح عنهم[3]، سياسةً منه ورفقا بالمخدوعين منهم علَّهم يرجعون عما أقدموا عليه من الفتنة.

ومن المعقول القول أنه لو صحت بعض هذه الانتقادات، وكان من الصواب أن يؤاخذ عليها عثمانرضي الله عنه، فإنما هو بشر يخطئ ويصيب، فإذا قيل أن الخطأ منه أشنع باعتباره من كبار الصحابة، فالصحابة غير معصومين من الخطإ، وبالتالي فمن السخف أن تثار هذه الانتقادات.

ومن الجلي أن إثارة مثل هذه المطاعن، كان بحثا عن أسباب مقنعة للثورة، خاصة وأنها لم تثر مُجملَة إلا بعد محاولة تطويق المدينة عسكريا، مما يوحي أن التخطيط للثورة كان من أجل إلزام الخليفة الإقرار بهذه الاتهامات، لا بإصلاح شيء منها، وبذلك يتم إقصاؤه بحجة التغيير الذي حملوا رايته تحت غطاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

1- البخاري، المصدر نفسه ، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ح: 3698، ج2، ص559./ للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص61-64.

2- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص143./ ابن كثير، البداية و النهاية، المصدر السابق ، ج7، ص338.

3- ابن كثير، المصدر نفسه، ج7، ص338.

الفصل الثاني

الثورة على عثمان رضي الله عنه
وحقائق مقتله

المبحث الأول: بداية الثورة والسبب المباشر في استمراريتها:

من المعلوم، كما سبق ذكره، أن مخطط الثورة كان لابد أن يظهر على أرض الواقع سنة 34 هـ/654م، حيث رتب ابن سبأ الاتفاق مع أتباعه من مثيري الفتنة لذلك، وأن الفكرة أجلت بعد أن عدل يزيد بن قيس الأرحبي خطته لألاَّ يكشف هذا المخطط[1]، ولعل تأجيل الأمر لهذا السبب لم يكن لأن متبني هذه الفكرة محصورون في الكوفة فحسب، وإنما لضمان وحدة الثوار واندلاع الثورة في وقت واحد، حتى يكون لها تأثير على السلطة الحاكمة.

واجتمع بعض رؤوس الفتنة من الثوار في نفس السنة (34هـ/654م) بالمسجد الحرام حيث كان كعب بن عبدة النهدي نائبا عن ثوار الكوفة، والمثنى بن مخربة العبدي عن ثوار البصرة، وكنانة بن بشر السكوني[2] عن ثوار مصر، حيث تذاكروا ما أحدث عثمانﷺ، واتفقوا على العودة العام المقبل (35هـ/655م) إلى داره ليعاتبوه وليروا رأيهم فيه[3]، وهذا دليل على المخطط المرسوم وعلى تنظيمه وضمان وحدة الصف.

1- الصلابي ، المرجع السابق ، ج1، ص 95-96.

2- كنانة ابن بشر التجيبي (ت 36هـ/657م). الزركلي، المرجع السابق ، ج6، ص94.

3- البلاذري ، المصدر السابق ، ج5، ص 59.

وعلى الرغم من هذه السرية، إلا أن الفتنة كانت تلوح على المجتمع الإسلامي، ومن هنا حاول عثمانﷺ التخفيف من حدتها وتأجيلها من خلال قمع كل ما يستطيع الثوار التسبب به، خاصة وأنه كان متيقنا بأن الثورة ستحدث، وهذا ما يظهر من خلال قوله سنة 34هـ/654م:"إن الأمر كائن، وبابه سيفتح، ولا أحب أن تكون لأحد علي حجة في فتحه".[1]

ومن خلال دراستنا لهذه الثورة اتضح لنا أن هناك فاصلة كانت ستقرر نجاح الثورة أو إخفاقها، وهي التي فصلت الثورة في نظرنا إلى شطرين:

أولا: بداية الثورة وموقف عثمان منها:

حتى تكتسب الثورة صبغتها الشرعية، تكاتب أهل مصر والكوفة والبصرة سنة 35هـ/655م، في الخروج إلى المدينة إذا لم يغير عثمان سياسته[2]، ومن ثَمَّ اتفقوا على الخروج في غيبة أمرائهم، الذين كانوا مجتمعين بالخليفة، إلا أنهم تأخروا حتى وصلتهم كتب من مؤيديهم في المدينة يحثونهم على القدوم إليها، فتكاتبوا في الخروج[3]، وكانوا حوالي الألفيْن وخمسمائة (2500) رجل[4]، ومن الواضح أن الكتب التي

1- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص 144.

2- ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص 340./ أثيرة الكثير من الأكاذيب حول أمير المؤمنين وأنه لم يحاول الإصلاح أصلا، والصواب هو أن الخليفة لم يترك لثوار سببا واحدا ضده الى درجة أنه عزل بعض من لم يرضه أهل الأمصار ممن اتهم ببعض المثالب، وعلى سبيل المثال ينظر: الملحق رقم:01.

3- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2، ص144./ سيف ابن عمر، المصدر السابق ، ص 54، / البلاذري، المصدر السابق ، ج5، ص 60.

4- خالد كبير علال، رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد عثمان بن عفانﷺ، المرجع السابق، ص 03.

وصلت أهل الأمصار من المدينة هي كتب زُوِّرت على ألسنة الصحابة[1]، وهي التي كانت أكبر دافع في الخروج على الخليفة.

اتفق الثوار على الخروج إلى المدينة في رجب[2]، وقيل في شوال[3]، والراجح أنه كذلك، لأن المدة بين نزولهم المدينة ومقتل الخليفة سبعون يوما[4]، وبالتالي فتاريخ نزولهم يكون في حدود الثامن من شوال 35هـ/655م؛ وأما في رجب فكان خروج ثوار مصر[5]، لبعد المسافة بين بلدهم والمدينة مقارنة بالبصرة والكوفة، وكانت الحجة في خروجهم أنهم أرادوا الحج[6] لستر هدفهم من ذلك، وحتى يسهل الخروج دون أية عراقيل، ولتفادي ما حصل ليزيد بن قيس سنة 34هـ/654م.

أما عن عدد الثوار فتحصره المصادر بين الأربعمائة والألف بالنسبة للمصريين[7]، واكتفى المسعودي بالقول أن أهل مصر خرجوا في ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي[8][9]، بينما يجعلهم

1- ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص 340.

2- الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص 357.

3- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص144/ سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص57/ الطبري، المصدر نفسه، ج4، ص349.

Barrau (E) ,Histoire politique des peuples musulmans, imprimerie d'Amédée saintin, Paris, s é, s d, p49.

4- سيف ابن عمر ، المصدر نفسه ، ص 65.

5- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج7، ص 338.

6- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2، ص 145.

7- عدنان ملحم ، المرجع السابق، ص 148-149.

8- عبد الرحمن بن عديس بن عمر البلوي، له صحبة وشهد بيعة الرضوان وبايع فيها، قتله معاوية بن أبي سفيان بعد أن سجنه بفلسطين وفر إلى فارس سنة (36هـ/656م). ابن الأثير، المصدر السابق ، مج3، ص109-110.

9- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 380/ البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص59-61 / الطبري، المصدر السابق، ج4، ص 369.

ابن خلدون بين الخمسمائة والألف، موزعين على أربع فرق عليها عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني يقود كلهم الغافقي بن حرب [1]، بينما تورد بعض المصادر أسماء، قد تتداخل مع من ذكرنا، منها: أبو عمرو بن بديل الخزاعي [2] وعروة بن شييم الكناني وسودان بن رومان الأصبحي وزرع بن يشكر اليافعي، واختلف في من قاد الكل بين ابن عديس والغافقي وأبي عمرو بن بديل [3]؛ والراجح من أكثر الأسماء ترددا أن أمراء الفرق هم أبو عمرو بن بديل، وعبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، وسودان بن حمران، يقودهم الغافقي بن حرب [4]، وكان نزولهم بذي المروة [5]، كما تذكر أغلب المصادر [6]، وليس بذي خشب [7] كما شذ عن ذلك المسعودي في مروجه [8].

1- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2، ص 144/ سيف بن عمر ، المصدر السابق ، ص 57-58.

2- أبو عمر بن بديل بن ورقاء الخزاعي (ت 37هـ/657م). ينظر: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مركز الموسوعات العلمية ، بيروت، د ت،ج1، ص87.

3- عدنان ملحم ، المرجع السابق ، ص 149.

4- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج2، ص 144. /سيف بن عمر، المصدر السابق، ص 57-58. / البلاذري ، المصدر السابق، ج5، ص 59. / الطبري ، المصدر السابق، ج4، ص 348-369. / ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص 338-340.

5- ذو المروة : قرية بواد القرى و قيل بين ذي خشب ووادي القرى . الحموي ، المصدر السابق، مج 4، ص 513.

6- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج2، ص 145. / سيف بن عمر ، المصدر السابق، ص 58. / الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص 349.

7- ذو خشب، من مخاليف اليمن ، الحموي، المصدر السابق، مج4، ص 445.

8- المسعودي ، المصدر السابق ، ج2، ص 380.

أما عن ثوار الكوفة فكانوا مائتين يقودهم الأشتر النخعي، حسب المسعودي[1]، وهم في مثل عدد المصريين عند صاحب "العبر" عليهم زيد بن صوحان العبدي[2] والأشتر وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم العامري[3] يقودهم عمرو بن الأصم[4] وكان نزولهم بالأعوص[5]_[6]، وأما ثوار البصرة فخرجوا في مائة رجل عليهم حكيم بن جبلة العبدي[7] حسب صاحب "المروج"[8]، وهم في عدد ثوار مصر عند صاحب "العبر"، عليهم حكيم بن جبلة وذريح بن عباد العبدي وبشر بن شريح القيسي وابن المحرش بن عبد عمرو الحنفي، يقودهم

1- المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص 380، / البلاذري، المصدر السابق ، ج5، ص59.

2- زيد بن صوحان بن حجر بن حارث العبدي، أسلم في عهد رسول الله ﷺ ، وكانت له صحبة، شهد الجمل مع علي رضي الله عنه حيث توفي بها ، وكان من خواص علي رضي الله عنه (ت36هـ/ 656م). ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق ، مج2، ص233-234./ ابن حجر، الإصابة، المصدر السابق ، ج1، ص550.

3- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2، ص 144./ سيف بن عمر ، المصدر السابق، ص 58. / الطبري، المصدر السابق، ج4، ص 349.

4- الطبري ، المصدر السابق، ج4، ص 349./ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص340.

5- الأعوص: موضع قرب المدينة على أميال يسيرة منها . ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص317.

6- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج2، ص 145. / سيف بن عمر ، المصدر السابق، ص58./ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص 350.

7- حكيم بن جبلة العبدي، من بني عبد القيس، صحابي أدرك النبي ﷺ، قاتل إلى جانب علي رضي الله عنه (ت36هـ/656م). ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، المصدر السابق، مج2، ص39-40./ الزركلي ، المرجع السابق ، ج2،ص298.

8- المسعودي ، المصدر السابق، ج2، ص 380.

حرقوص بن زهير السعدي[1]، وكان نزولهم بذي خشب[2]، والملاحظ أن هذا الاختلاف العددي للثوار كان بهدف إعطاء الثورة على عثمان شعبية واسعة[3] مما يفسر سبب تضارب هذه الروايات واختلافها.

ولقد رأى الثوار بعد نزولهم بضواحي المدينة ألا يعجلوا في دخولها حتى يستطلعوا الأمر، وكانت حجتهم أنهم قدموا للحج والاستعفاء من بعض العمال فلم يؤذن لهم[4]، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد كلم عثمان رضي الله عنه بما أخذوا عليه[5]، فخطب عثمان رضي الله عنه الناس ودحض كل ما انتقد لأجله، مما ذكرنا سابقا، بحضرة الصحابة ومن دخل المدينة من الثوار حتى اقتنعوا عن آخرهم[6]، وكان ذلك نذير شؤم بالنسبة لرؤوس الفتنة ينذر بإخفاق الثورة، إضافة إلى إعلان الخليفة توبته[7]، كسياسة منه حتى يقطع أسباب استمراريتها.

1- حرقوص بن زهير السعدي، كانت له صحبة مع الرسول ﷺ، أمّره رسول الله في قتال الهرمزان الفارسي صاحب خوزستان لما كفر، شهد مع علي صفين ثم صار من= =الخوارج، قتل يوم النهروان سنة (37هـ/657م). ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، مج1،ص396.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 140-145./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص 58. / الطبري، المصدر السابق، ج4، ص349./ ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص 340.

3- عدنان ملحم، المرجع السابق، ص 150.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 145./سيف بن عمر، المصدر السابق، ص 58-60، / الطبري، المصدر السابق، ج4، ص349.

5- ينظر : نهج البلاغة، شرح : محمد عبده، دار كرم، دمشق، دت، ج2، ص 68-69.

6- ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص 338

7- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 146-147. / ابن كثير، المصدر نفسه، ج7، ص 338-339.

فرجع الثوار وتشاوروا في حل بديل للاستمرار في الثورة فأتى المصريون عليا رضي الله عنه، وهو معسكر بأحجار الزيت[1]، وعرضوا عليه أمرهم فطردهم وقال أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتى البصريون طلحة والكوفيون الزبير فقالا مثل ذلك، محاولة من الثوار إيجاد مناصر لهم من بين الصحابة، فلما انقطع أملهم من ذلك غادروا المدينة[2]، على أن المسعودي لم يذكر هذا واكتفى بقوله أنهم غادروا بمجرد كلام علي رضي الله عنه معهم[3]، لإيضاح فضله في الدفاع عن الخليفة رغم ما كان بينهما من تضاد في كثير من المواقف حسب صاحب "المروج".

وبهذا أخفقت الثورة في شطرها الأول إخفاقا نظريا كان لابد من تداركه قبل فوات الأوان.

ثانيا: الحل البديل لاستمرار الثورة:

من غير المنطقي القول بأن عثمان تراجع عن توبته ووعوده الإصلاحية[4]، أو أنه انقاد لمروان بن الحكم[5]، كونه رجلا تعوزه قوة

1- أحجار الزيت: موضع بالمدينة قريب من الزوراء. الحموي، المصدر السابق، مج1، ص 144.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، 145/ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص58-60./، الطبري، المصدر السابق، ج4، ص 349.

3- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 380./ للمقارنة: ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص 146.

4- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص 147.

5- المصدر نفسه، ج2، ص 147./ للمقارنة: عبد الفتاح عبد المقصود، المرجع السابق، ج2، ص 17./ سيد أمير علي، المرجع السابق، ص 42.

العزيمة وصلابة الرأي[1]، خاصة وأن خطبته في رد الانتقادات وتوبته عما بدر منه، كانت لقطع أسباب إستمرار الثورة[2]، والدليل على ذلك أن الثورة لم تستمر بسبب هذا.

وفي حقيقة الأمر أن أكثر الثوار المخدوعين رجعوا عما قدموا من أجله بعد إعلان الخليفة توبته، ومنذ تلك اللحظة بدأ رؤوس الفتنة يفكرون في حل بديل ينقذ ثورتهم من تراجعها، ولم يكن عَرْضهم الأمر على كبار الصحابة إلا تجربة في سبيل ذلك، فلما أخفقوا غادروا المدينة.

وبتدبير من صناع الثورة، عاد الثوار مسرعين إلى المدينة وطوقوها وأحاطوا بالخليفة[3]، بحجة أن ثوار مصر وجدوا كتابا يحمله غلام عثمان رضي الله عنه إلى عامله على مصر لمعاقبتهم[4]، حيث يقول المسعودي أنهم

1- سيد أمير علي ، المرجع نفسه ، ص 43.

2- في نظرنا لم يكن إعلان أمر المؤمنين خلال رده على ادعاءات الثوار توبته عما بدر منه في حكمه بسبب أنه حقا فعل ذلك وأخطأ فتاب، ولكننا نرى أنه فعل ذلك إخمادا للثورة ولأنه في رأينا لم يفعل ما يلام عليه حقا حتى يعلن توبته كما رأينا سلفا، وهذا إن كان فإنما هو دليل على حنكة الخليفة من جهة ومراعاة لمصلحة عامة المسلمين من جهة أخرى في سبيل الحفاظ على وحدتهم وحقن دمائهم بسبب حدوث ما يخشاه.

3- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2، ص 147./ سيف بن عمر ، المصدر السابق ، ص 60./ الطبري ، المصدر السابق، ج4، ص 351.

4- ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج 2، ص 147./ المسعودي ، المصدر السابق ، ج2، ص 380.

Robert Mantran , L'expansion Musulmane (VIIe-XIe siècles), presses universitaires de France, Paris, 3ieme éd , 1986, p115. /

وحسب الروايات فإن الرسالة المصطنعة هذه كانت تأمر بن ابي السرح بقتل طائفة من ثوار مصر وصلب آخرين ووقطع ايدي آخرين منهم وأرجلهم، وقال الطبري أن حامل الرسالة كان أبا الاعور السلمي احد غلمان عثمان. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج07، ص 341./ لمزيد من المعلومات ينظر: خالد كبير علال، رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه، المرجع السابق، ص17-30.

اتفقوا على العودة بعد العثور عليه[1]، وهو قول يسقط ما أورده ابن خلدون عن عليﷺ أن هذا الأمر دبر بالمدينة[2]، مما يوحي أن الكتاب كان حلا بديلا، وأنه زُور على لسان الخليفة حتى يكون حجتهم لمواصلة الثورة، خاصة وأن عثمانﷺ أقسم أنه لا علم له به[3]، وأنه زُور عليه[4] فكيف يكون الكتاب "خطة أموية"[5] من طرف الخليفة كشفت حقيقته؟ خاصة إذا تساءلنا السؤال نفسه الذي طرحه عليﷺ على ثوار الكوفة والبصرة عند عودتهم: "كيف علمتم بما لقي أهل مصر وكلكم على مراحل من صاحبه حتى رجعتم علينا جميعا؟"[6]، وهو سؤال واف ودليل كاف على أن الكتاب كان سببا مصطنعا ومباشرا للعودة والإستمرار في الثورة باتفاق رؤوس الفتنة.

أما اتهامهم لمروان، بعد قَسَم الخليفة، فباطل[7] وما هو إلا محاولة

1- المسعودي ، المصدر نفسه ، ج2، ص 380.

2- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص 145./ سيف بن عمر ، المصدر السابق ، ص 60-61./ الطبري ، المصدر السابق ، ج4، ص351./ إحسان إلهي ظهير ، الشيعة و التشيع ، المرجع السابق ، ص 80-89.

3- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2، ص 184./ أبو حامد عز الدين بن عبد الحميد ابن أبي الحديد المدائني ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق: الشيخ حسن تميم ، دار مكتبة الحياة، بيروت ، 1963، مج1، ص 379-380.

4- ابن كثير ، البداية و النهاية ، المصدر السابق ، ج7، ص 341.

5- إبراهيم بيضون ، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك: دراسة في تكوين الاتجاهات السياسية في القرن الأول هجري ، دار النهضة العربية، بيروت ، ط3، 1990، ص 113.

6- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 145./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص 60-61./ الطبري ، المصدر السابق، ج4، ص 351.

7- حمدي شاهين ، الدولة الأموية المفترى عليها، المرجع السابق ، ص 64-65./ للمقارنة : المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص 380./ البلاذري ، المصدر السابق، ج5، ص 65-66./ ابن حجر ، الإصابة ، المصدر السابق، ج1،=

منهم اتهام الخليفة بتدبير أمر ضدهم، إضافة إلى ستر هدفهم الذي ثاروا وعملوا وعادوا لأجله، والذي تمثل في قتل عثمان رضي الله عنه[1]، الأمر الذي أضمروه تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]. وبهذا اصطنعوا السبب المباشر الذي لا حجة لأحد عليهم فيه ولا في ردهم عما خططوا له.

المبحث الثاني: يوم الدار ومقتل الخليفة:

بعد أن اصطنع رؤوس الفتنة السبب المباشر لاستمرار الثورة على الخليفة، لم تكن بطبيعة الحال عودتهم من العدم، وإنما كانت خطوة مهمة في استكمال المخطط السبئي لإسقاط النظام، وبث الاضطراب وعدم الثقة في المجتمع الإسلامي وبين كبار أعيانه، وبالتالي فالثورة وإن كانت هدفا، فهي لا تعتبر إلا حلقة رئيسية للوصول إلى الخليفة وإقصائه.

ولعل وجهات النظر تختلف في طبيعة هذا الإقصاء، الذي لم يكن بالإمكان إلا عبر بعض المقدمات، إضافة إلى عدم كشف طبيعة هذا الإقصاء ضمانا لتحقيقه دون عراقيل. وللوصول إلى ذلك تقسيم المسار إلى شطرين هما:

=ص459./ لمزيد من المعلومات القيمة حول دلائل تزوير الرسالة والمسؤول عنها ينظر: خالد كبير علال، رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه، المرجع السابق، ص 25-30.

1- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2، ص 148.

2- ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق: درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط2، 2002، ص 200./ ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص 342./ عدنان ملحم ، المرجع السابق ، ص 232./ للمقارنة : إبراهيم بيضون ، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول هجري ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1979، ص 113- 114.

أولا: حصار الثوار للخليفة:

كان لابد من المرور بمرحلة الحصار، إلا أن ذلك لم يكن ممكنا إلا بعد إلزام الخليفة الاعتراف بأنه غدر بهم، ولو لم يكن هو كاتب الرسالة إلى ابن أبي سرح[1]، ومع اتهامهم مروان بفعل ذلك حاولوا دفع عثمانﷺ إلى الاعتراف بأنه لا يصلح للخلافة[2] وطالبوه بمروان فرفض تسليمه[3]، ومع سيطرتهم على المدينة[4] وتحكمهم بالأوضاع فيها ساء وضع الخليفة، ولم يبق له الخيار فيما طالبوه، إلا أنه لم يرضخ لهم طيلة هذه المرحلة من الفتنة.

ولقد خطب عثمانﷺ الناس يستهدي الثوار فقابلوه بالتهجم حتى أُغمي عليه، وحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد[5]، وكانت آخر خطبة له في الناس؛ إذ مُنع بعدها من الخروج من داره، وبدأ بذلك الحصار عليه فعليا، وكان ذلك في الثامن من ذي القعدة سنة 35هـ/ 655م، هذا إذا افترضنا أن الحصار دام أربعين يوما حسب ما

1- هشام جعيط ، المرجع السابق ، ص131.

2- ابن خلدون ، كتاب العبر، المصدر السابق ، ج2 ، ص142./ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1998، مج3 ، ص60.

3- المسعودي ، المصدر السابق، ج2 ،ص380-381./ البلاذري ، المصدر السابق،ج5، ص68./ للمقارنة: ابن خلدون ، المصدر نفسه، ج2 ،ص148.

4-إبراهيم بيضون ، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول هجري ، المرجع السابق ، ص113./للمقارنة: المسعودي ، المصدر نفسه ،ج2 ، ص181./ ابن خلدون ، المصدر نفسه، ج2 ،ص145-146.

5- ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج2، ص145./ سيف بن عمر ، المصدر السابق ، ص63./ابن كثير ، المصدر السابق ،ج7 ،ص349.

توررده أغلب المصادر[1]، عدا المسعودي الذي قال أنه دام تسعا وأربعين أو أكثر[2]، وقيل إثنان وعشرون يوما[3]، والأرجح أنه دام أربعين يوما، خاصة إذا كان نزولهم المدينة يوم الثامن من شوال كما سبق ذكره، أي قبل شهر من تاريخ بدء الحصار، لتبقى أربعون يوما حتى تستكمل السبعون يوما منذ وصولهم إلى مقتل الخليفة.

ولقد صلى الخليفة بالناس ثلاثين يوما، ثم منع فصلى بهم الغافقي بن حرب[4] وقيل بل أمر عثمانﷺ أبا أيوب الأنصاري فصلى بهم ثم صلى بهم عليﷺ [5] وقيل بل صلى بهم بعد أبي أيوب سهل بن حنيف[6]، فلما كان يوم النحر صلى بهم عليﷺ[7]، وقيل بل أمر عليﷺ سهلا فصلى بهم حتى قتل عثمان[8]، وقيل صلى بهم طلحة وأبو أيوب وسهل وكان عليﷺ يجمع بهم[9].

وفي أثناء الحصار تعرض الخليفة لعدة ضغوط إلى درجة منع الماء

1- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2 ، ص146./ سيف بن عمر ، المصدر السابق، ص65./ اليعقوبي ، المصدر السابق ، مج2 ، ص176./ ابن أبي الحديد، المصدر السابق ، مج1،ص374.

2- المسعودي، المصدر السابق،ج2،ص382./ ابن كثير، المصدر السابق ،ج7، ص353.

3- ابن كثير ، المصدر نفسه ،ج7،ص353.

4- ابن خلدون، المصدر السابق،ج2،ص146./ابن كثير، المصدر السابق،ج7، ص342.

5- ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج2 ،ص146.

6- سهل بن حُنَيْف بن واهب الأنصاري ،صحابي شهد بدرا و ما بعدها، استخلفه عليﷺ علىَ المدينة، وشهد معه صفين، توفي بالكوفة سنة (38هـ/658م). ابن العماد، المصدر السابق ، ج1،ص48.

7- المسعودي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص382.

8- ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج2 ،ص146.

9- ابن كثير ، المصدر السابق ،ج7 ،ص342.

عنه[1]، فيما كانوا قد خيروه بين خلع نفسه أو تسليم مروان أو قتله[2]، ومن المجحف أن نقول أن عثمانﷺ اعتبر الخلافة حقا إلهيا له[3]، لما رفض تنحيته، لكننا نرى أن رفضه الخلع كان أحكم خطوة في الحفاظ على هيبة الدولة الإسلامية، ذلك أن خلع عثمان لنفسه يُعطي الجرأة لكل ثائر في أي زمان على أن يقوم بمثل ذلك، وبالتالي تكون الدولة لعبة في يد كل من خرج عليها، وحينها تكون السلطة في أيدي أمثال هؤلاء الثوار، سواء كانت الثورة بدعوى الإصلاح أو العكس.

أما القول بأن عثمان استنجد بأهل الأمصار[4]، فلا أساس له[5] لأسباب منها أنه كان باستطاعته القضاء على من حاصروه[6]، إضافة إلى أنه منع الصحابة من قتالهم وأقسم عليهم بأن يكفوا[7]، ولعل سكوت عثمانﷺ عن الثوار وعدم قتالهم زيادة على عدم حبه إراقة الدماء حتى لا يفهم أهل الأمصار من حديثي الإسلام أن صحابة رسول اللهﷺ

1- المسعودي، المصدر السابق ،ج2، ص380./ابن خلدون، المصدر السابق ،ج2، ص149.

2- ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج2 ،ص148./ البلاذري، المصدر السابق ، ج5، ص66./ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، مج1، ص381./ ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص342، ص359-360.

3-إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول هجري، المرجع السابق، ص110./ محمود إسماعيل، المرجع السابق ، ص28./ هشام جعيط، المرجع السابق ، ص135.

4-ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص145./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص61-62.

5- حمدي شاهين، الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، المرجع السابق، ص278-279./حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، المرجع السابق، ص176.

6-الصلابي، حقيقة الخلاف بين الصحابة، المرجع السابق ، ص11.

7- ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص346./ للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، 166-168.

يقتلون من حمل لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر الذي كان سيتحول في صالح مثيري الفتنة من جهة استقطاب المؤيدين لهم ضد الخليفة، وفقدان الثقة في كبار الصحابة، وبذلك فدى عثمان رضي الله عنه الإسلام والمسلمين بنفسه.

ثانيا: مقتل عثمان بن عفان:

في خضم الحصار والضغوط التي مارسها الثوار على الخليفة، بادر الصحابة إلى الدفاع عنه بإرسال أبنائهم لما بلغهم أن الثوار يريدون قتله[1]، مع أنهم لم يظنوا أن الأمر سيصل إلى ذلك[2]، غير أن هذا الهدف لم يكن وليد لحظته، وإنما كان حلقة مهمة من مسلسل الفتنة[3]، ومن غير المعقول أن نقول أن الثوار لم يكونوا يريدون ذلك بدليل حصاره أربعين يوما دون عنف[4]، وأنهم قرروا قتله لما يئسوا من خلعه[5].

1- المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص381./ Barrau(E), Op-Cit, p49 / ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص 159-165./ هذا زيادة على ما قامت به السيدة عائشة وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن بخروجهن في تلك الايام إلى مكة بحجة الحج والحقيقة ان ذلك لم يكن هروبا ولا لامبالاة بما كان يحدث، ولكن السبب كان فض الحصار على عثمان بإعلان تجهزهن للخروج رجاء أن يرجع المغرّرون من أهل الامصار الى امهات المؤمنين، أي محاولة منهن تفريق هذه الجماعات، لأن المعروف أن الناس كانوا يرجعون على الدوام الى رأيهن وفتاويهن ويحبون الحج معهن حفظا لحرم رسول الله ﷺ. ينظر: نضال عباس دويكات، المرجع السابق، ص 31-32.

2- ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص342.

3- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص148./ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق ، ص200./ عدنان ملحم، المرجع السابق، ص232.

4- إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول هجري، المرجع السابق ، ص113-114.

5-هشام جعيط، المرجع السابق ، ص135.

ومن الواضح أن قتل الخليفة لم يكن محددا زمنيا أو على الأقل لم يكن ليطبق في زمن حدوثه، غير أن ما جعل القرار يستعجل هو علم الثوار بمسير جنود الأمصار إليهم[1]، وبالتالي يضربون عصفورين بحجر، الأول تحقيق هدف قتل الخليفة والثاني انشغال الناس عنهم بأمر الخلافة.

وللوصول إلى الخليفة، أنشب الثوار القتال على باب الدار أصيب أثناءه البعض كالحسن بن علي رضي الله عنه ومحمد بن طلحة وغيرهما[2]، فلما خافوا عصبية بني هاشم وبني أمية دخل بعضهم الدار من جهة أخرى[3]، دون إشعار من كان على الباب بذلك.

واختلفت الروايات حول قتلة عثمان رضي الله عنه، إذ يذكر المسعودي أن محمد بن أبي بكر[4] تسور مع رجلين دار قوم من الأنصار[5]، وقيل أنهما كنانة بن بشر وسعد بن حمران[6]، هذا الأخير الذي استبعده ابن خلدون[7]، وقيل بل سودان بن حمران[1]، كما تورد بعض الروايات أن

1- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص149./ الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص377.
2-المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص381.
3- المصدر نفسه ، ج2، ص381.
4- محمد بن أبي بكر الصديق، ولاه علي على مصر، وتزوج أمه أسماء بنت عميس، قيل قتله عمرو بن العاص أو عمرو بن عثمان (ت38هـ/658م). ابن العماد، المصدر السابق ، ج1، ص48./ هناك عدة رؤى وآراء حول مخالفة محمد بن ابي بكر لعثمان رضي الله عنه ولكن الأكيد أن محمدا لم يكن ممن قتلوا الخليفة بعد ذلك لأنه تراجع عن الدار بعد أن كلمه عثمان رضي الله عنه، وحول وجهات النظر عن سبب الخلاف بين الرجلين ينظر: نضال عباس دويكات، المرجع السابق، ص 20-23.
5- المسعودي، المصدر السابق ،ج2، ص381./ البلاذري، المصدر السابق ، ج5، ص69.
6- المسعودي، المصدر نفسه ، ج2، ص382./ للمقارنة: سيف بن عمر ، المصدر السابق ، ص72./ اليعقوبي، المصدر السابق ، مج2، ص176./ الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص393-394.
7- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص150.

عمرو بن الحمق[2] وعمير بن ضابئ[3] ومحمد بن أبي حذيفة، وعمرو بن حزم[4]-[5] تسوروا دار عثمان للدخول عليه[6]، إضافة إلى عبد الرحمن بن عديس[7] وقتيرة بن فلان[8]، والغافقي بن حرب[9] ونيار بن عياض الأسلمي[10] ورومان بن سودان اليماني[11] ورجل من مصر يقال له جبلة[12] وآخر يلقب بالموت الأسود[13] وآخر يلقب بالحمار[14] والأشتر

1- الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص391./ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص349./ للمقارنة: البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص91./ اليعقوبي، المصدر السابق ، مج2، ص176.

2- المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص382./ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص150./ للمقارنة: اليعقوبي، المصدر نفسه، مج2، ص176./ الطبري، المصدر نفسه ، ج4، ص394.

3- المسعودي، المصدر نفسه ، ج2، ص382./ ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج2، ص150./ ابن قتيبة، المصدر السابق ، ص206.

4- عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي ،ولي نجران وله سبعة عشر سنة، (ت53هـ/673م). ابن العماد، المصدر السابق ، ج1،ص59.

5- اليعقوبي، المصدر السابق ، مج2، ص176.

6- ابن حزم، المصدر السابق ، ج4، ص158./ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص351.

7-ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2،ص150./اليعقوبي، المصدر السابق، مج2، ص176.

8- سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص72./ الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص391.

9- سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص72./الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص391./ للمقارنة: ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص351.

10- البلاذري، المصدر السابق ، ج5، ص83.

11- ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص352.

12- عثمان الخميس، المرجع السابق ، ص99./ كثير من الكتاب يتهم جبلة بن الايهم بقتل عثمان بشكل مباشر. لمزيد من المعلومات ينظر: خالد كبير علال، رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد عثمان بن عفان ﷺ، المرجع السابق، ص30-34./ محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص205-210.

13- ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص351./عثمان الخميس، المرجع السابق، ص99.

14-جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاري الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ص183.

النخعي[1] الذي نستبعده من القائمة لأنه اعتزل الحصار كما سبق أن ذكرنا.

ومع أنه لا يمكن الفصل في عملية القتل، إلا أن المرجح عندنا أن الكثير ممن ذكرنا شاركوا فيها، وإن لم يكن بعضهم القاتل بعينه، وهذا ما يفسر اختلاف الروايات حول ذلك، واختلاف الأدوار في الجريمة؛ حتى أنه وردت رواية مفادها أن ابن أبي بكر دخل ومعه ثلاثة عشر رجلا، تحاملوا كلهم على قتل الخليفة[2]، الأمر الذي أشار إليه ابن خلدون بقوله أن الدار امتلأت دون أن يشعر من كان على الباب[3] ممن كان يدافع عن عثمان؛ الذي كان قتله بداية التطرف في الإسلام[4].

ولقد اختُلِف حول تاريخ مقتل الخليفة، والمتفق عليه أنه كان يوم الجمعة[5]، فإن صح ذلك وصادف الثامن عشر من ذي الحجة سنة 35هـ/655م يوم الجمعة، كما تذهب إلى ذلك أغلب المصادر[6]، فإن مقتل عثمانﷺ لا يمكن أن يكون في العاشر من ذي الحجة[7] لأن هذا

1- عثمان الخميس، المرجع السابق ، ص99.

2- ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص348.

3- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص149./ للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص105-109.

4- صلاح الدين محمد نوّار، نظرية الخلافة أو الإمامة و تطورها السياسي و الديني (11-41هـ/632-662م): دراسة تحليلية و نقدية مقارنة، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1996،ص86.

5- ابن كثير، المصدر السابق ، ج7، ص353.

6- المسعودي، التنبيه و الإشراف، تصحيح: عبد اللّه إسماعيل الصّاوي، مكتبة المثنى، بغداد، دط، 1938، ص253./ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص150./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص85./ البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص85./ اليعقوبي، المصدر السابق، مج2، ص176.

7- المسعودي، التنبيه و الإشراف، المصدر نفسه ، ص253./ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص353.

التاريخ صادف يوم الخميس، ولا في الثاني والعشرين[1] لأنه صادف يوم الثلاثاء، ولا في السابع والعشرين[2] لأنـه صـادف يـوم الأحـد، ولا سـنة 36هـ/ 656م [3] لأن ذلـك مسـتبعد جـدا، زيـادة علـى ذلـك فـإن يـوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة هو الذي يصادف اليوم الأربعين من الحصـار، فهـو التـاريخ المـرجح لمقتـل عثمـان[4]، ولعـل مـا جعـل صـاحب "المروج" يقول أن مقتله كان في السابع والعشرين من ذي الحجـة، هـو أنـه جعـل الحصـار تسـعا وأربعـين يومـا، زيـادة علـى أنـه ينـاقض نفسـه بـين "المروج" و"التنبيه" فيما يتعلق بعدد أيام الحصار وتاريخ مقتل عثمان.

وتجدر الإشارة إلى أن القول أن بني أمية تخلوا عن عثمان وهـو في أمس الحاجة إليهم[5] لا أساس له، إذ قال المسعودي أن مروان بن الحكم وبني أمية طُلبوا ليقتلوا فلم يعثر عليهم[6]، في الوقت الذي يقـول فيـه أن الخليفة قتل ومعه في الدار ثمانية عشر أمويا منهم مروان[7]، ما يوضح تناقضا صريحا حول ذلك وإن كان دور الأمويين غير ظاهر في الدفاع

1- ابن حجر، الإصابة، المصدر السابق، ج1، ص459.

2- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص382.

3- ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص354.

4- وبذلك نخالف الدكتور الغبان على ترجيحه تاريخ مقتل الخليفة عثمان بن عفان حيث جعله في اواسط ايام التشريق وبالتحديد الثاني عشر من ذي الحجة لأن= =هذا اليوم يصادف السبت ويجعل عدد ايام الحصار اربعا وثلاثين يوما وهـو قول ساقط منطقيا ولعل سبب ذلك بحثه في صحة الرواية التي تقول بما قاله ولكن المنطق يخالف ذلك، مع أن الغبان قال أنه كان يوم جمعة ولكننا لا نظن أن الثـاني عشـر مـن ذي الحجـة سـنة 35 للـهجرة وافـق يـوم الجمعـة والله أعلـم. للمقارنة ينظر: محمد بن عبد الله الغبان، المرجع السابق، ج01، ص 193-200.

5- سيد أمير علي، المرجع السابق، ص43.

6- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص382./للمقارنة: ابن خلدون، المصدر السـابق، ج2،ص151.

7- المسعودي، المصدر نفسه ، ج2،ص382.

عن الخليفة؛ نفس الأمر الذي حدث لأدوار الصحابة و أبنائهم وعلى رأسهم عليﷺ وبنوه؛ والذي لم يُظهر أدوارهم في الدفاع بسبب تسارع الأحداث قبيل مقتل الخليفة. ودفن عثمانﷺ بموضع يقال له حُش كوكب[1]_[2]، وبهذا وقع المكروه من أحداث الفتنة وتأزمها، وبدأ الخلاف بين كبار الصحابة، كما سيأتي ذكره.

1- حُشُّ كَوْكَب:هو بستان منسوب إلى صاحبه المدعو بكَوْكَب من الأنصار، وهو عند بقيع الغَرْقَد .ينظر: الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج2، ص273.

2- المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص382./ للمقارنة: سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص85./ البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص83./ اليعقوبي، المصدر السابق، مج2، ص176./ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص412.

الفصل الثالث

مسألة الخلافة وقضية الثأر لعثمان رضي الله عنه

المبحث الأول: مسألة الخلافة بعد عثمان رضي الله عنه:

كان إقدام الثوار على تصفية خليفة المسلمين خطوة مهمة في الخلاص من جيوش الأمصار التي قصدتهم، من خلال انشغال الناس عنهم بقضية الخلافة، إضافة إلى الخلاف الذي ظهر بين كبار الصحابة حول مسألة الثأر لعثمان رضي الله عنه، والتي اتخذ فيها الخلاف صورة النزاع السلطويّ على الخلافة، كما سيأتي.

ومع هذا فإنّ القول أنّ الصّحابة تستّروا تحت الصبغة الدينية، وأنهم استغلّوا السّخط على الخليفة لمصلحتهم[1]، والإفادة من الاستياء العام[2]، وكأنهم يُظهرون غير ما يُبطنون[3]، وأنه كانت لهم مصلحةٌ مباشرة في الإطاحة بعثمان[4]، قول بعيد عن المنطق الواقعيّ في تلك الفترة، خاصة وأنه من الخطأ اعتماد النظرة النفعيّة فحسب في تفسير المواقف السياسية للصحابة، والتي اعتمدها الكثير من المؤرخين في دراسة الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

ولبحث مسألة الخلافة في هذه الفترة تطرقنا إلى أمرين هما :

1- فلهوزن، المرجع السابق ، ص48.
2- بروكلمان، المرجع السابق، ص112.
3- فلهوزن، المرجع السابق ، ص48-49.
4- إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول هجري، المرجع السابق ، ص113.

أولا: بيعة علي بن أبي طالبﷺ:

من المعلوم أن الثّوار خرجوا متّحدين وقلوبهم شتّى، إذ كان أهل مصرَ يودّون علياًّ ﷺ، فيما كان أهل البصرةِ يريدون طلحةَ، وكان هوى أهل الكوفةِ في الزّبيرِ[1]، ولقد عرضوا الخلافة على هؤلاء الثلاثة تلميحا لا تصريحا، بعد أن ردّ عثمانﷺ على انتقاداتهم[2]، كما نرى أن هذا الاختلاف حول من يَلي الأمر في وسط الثوار، لم يكن عفويًّا، وإنما كان ضمن مخطّط الفتنة نفسها، إذ نعتقد أن الأمر كان متعمّدا بهدف خلق صراع بين الصحابة الثلاثة وربما بين الثوار أنفسهم بهدف توسعة هذا الصراع حتى يشمل غير الثوار، وربما حتى يصل الصراع إلى الأمصار كلها حسب توجهات كل مصرٍ إلى من يريده لتولّي الأمر وبالتالي تقسيم الدولة الاسلامية بسهولة.

ولقد قيل أن الغافقيَّ بنَ حَرْبٍ ظل أميرا على المدينة طيلة خمسة أيام بعد مقتل عثمانﷺ، وأنه التمس من يَلي الخلافة فلم يُجبه أحد، لا عليٌّ ولا طلحةُ ولا الزبيرُ، ولا حتى سعدُ بن أبي وقّاصٍ و عبدُ اللّه بنُ عمر، فألقوا المسؤولية على أهل المدينة فلم يرضوا بغير عليّﷺ[3]، ذلك

1- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص145./ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص58./ ابن كثير، المصدر السابق، ج7،ص340.

2- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص145./ سيف بن عمر، المصدر نفسه، ص58-60./ الطبري، المصدر السابق ، ج4، ص349./ ابن كثير، المصدر نفسه ، ج7،ص340./ للمقارنة: جميل إبراهيم حبيب، سيرة الزبير بن العوام: ومواقفه من معارك التحرير و الفتوحات الإسلامية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1985، ص136.

3- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2 ،ص151./ سيف بن عمر، المصدر نفسه ، ص91-92.

أن الفراغ السلطوي كان يُنذر بأسوء النتائج[1]، وهذا يعني أن البيعة كانت يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة 35هـ/655م.

وقيل بايع الأشتر النخعيّ عليا رضي الله عنه يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة، ثم بايعه الآخرون يوم الجمعة[2] وقيل أنها كانت يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي الحجة[3] وقيل بعد أربعة أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه[4] أي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذي الحجة، وقيل أنها كانت يوم السبت التاسع عشر من ذي الحجة[5]، وقيل بل كانت يوم مقتل عثمان رضي الله عنه[6].

والراجح أن بيعة علي رضي الله عنه كانت يوم الثامن عشر من ذي الحجة، حين اجتمع إليه الصحابة، وعلى رأسهم طلحة والزبير[7]، وبايعوه، لأسباب منها أنه ليس من الحكمة ترك فراغ في السلطة، وخوفا من أن ينتهز الثوار الفرصة فيولّوا مَن يريدون بغير مشورة، أو أن يتسابق الناس والثوار فتتفرق كلمتهم حول من يَلي الأمر بين عدة مرشّحين.

1- إبراهيم بيضون، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، المرجع السابق ، ص118.

2- ابن كثير، المصدر السابق ، ج8، ص06.

3- ابن خلدون، المصدر السابق ،ج2، ص151./ سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص95./ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، مر: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، دت،ج5، ص65.

4- المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص386.

5- ابن كثير، المصدر السابق ، ج8، ص05.

6- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق ، ج2، ص385./ المسعودي، التنبيه والإشراف، المصدر السابق ، ص255./ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج5، ص66./ **Robert Mantran, Op-Cit, p115.**

7- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص150.

ومـن الجـدير بالـذكر أن الإمـام علـيّ ﷺ لم يكـن راغبـا في تـولي الخلافـة ولكـن الصـحابة بـايعوه خـوف الفرقـة وبعـد تـردّد منـه[1]، ومـن الجلـيّ أنـه لم يطلبـها إلا بعـد أن عـرف أن المفسـدة المترتبـة عـن رفضـه أعظم من الفتنة نفسها، خاصة وأن الرّعيّة لا تصلح بغير إمام.

ولقـد بويـع الإمـام علـيّ والقلـوب مضـطربة وأكـابر الصـحابة متفرقون[2] ورغم ذلك فقد كانت بيعته واجبة وطاعته فرضا، ذلك أن المبادرة إلى تقديم إمام عند موت الإمام الأول فرض واجب[3]، ولعل هناك لفتةً بسيطة إلى موقف الثوار من هذه البيعة، إذ أنهم رحبوا بها وبقوة ودون أي اعتراض، والسبب في ذلك أنهم خافوا منذ البداية ترك الأمة بلا ولي يرشحونه هم، لأنه إذا بويع أي رجل دون موافقتهم، فإنه سوف ينفذ فيهم القصاص، ولذلك استتروا وراء المبايعين لعليّ ﷺ[4]، ورحّبـوا بالبيعـة ترحيـب مـن كـان لـه الفضـل في التّوليـة، ورغـم ذلـك توجسوا من عليّ مخافة، إلى درجة أنهم هدّدوه وتوعّدوه ضمنيّا إن لم يكن في صفهم[5].

والجـدير بالـذكر هنـا، أن بعـض الروايـات تـزعم أن مـؤامرةً كانـت تحاك ضدّ عليّ ﷺ بين معاوية والزبير، حيث تزعم أن معاوية ﷺ حـرّض

1- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص171. / نهج البلاغة، المصدر السابق ، ج1، ص181-182. / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة خياط، بيروت، دت، ج2، ص62. / محمد كاظم القزويني، الإمام علي من المهد إلى اللحد، مؤسسة النور، بيروت، 1993، ص245-246./ ينظر: الملحق رقم:04.

2-ابن تيمية، منهاج السنة، المصدر نفسه ، ج1، ص371.

3- ابن حزم، المصدر السابق ، ج4، ص157.

4- إحسان إلهي ظهير، الشيعة و التشيع، المرجع السابق ، ص110-113.

5- سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص96./ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق ، مج3، ص85.

الــزبير علــى خلــع علــيّ رضي الله عنه، وأنــه بــايع الــزبيرَ رضي الله عنه مــع أهــل الشــام بمُكاتبـات[1]،وذكـرت روايـة أخـرى أن طلحـة والـزبير نقضَـا البيعـة لأن عليًّا رضي الله عنه لم يولِّهما البصرة والكوفة[2]، إلى غير ذلك مما لا صحة له، كون القضية لم تكن قضية سلطان كما سيأتي.

ثانيا: مواقف الصحابة من البيعة:

في خضـم ظـروف البيعـة الـتي انعقـدت للإمـام علـيّ رضي الله عنه، كـان مـن الطبيعي أن تختلف المواقف تجاهها، وبخاصـة مواقـف الصـحابة، والـتي انقسمت إلى ثلاثة اتجاهات هي:

اتجاه الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واتجاه مـن اشـترط القصـاص في البيعة، واتجاه من اعتزل الفريقين.

وبما أن البيعة هـي العهد على الطاعة[3]، فقـد رأت مجموعـة مـن الصحابة وجوب بيعة الإمام، ورأى آخرون عدم وجوبها إلا بعد قتـل قتلـة عثمان رضي الله عنه، بينما اعتزل آخرون الفتنة تماما ولم يقولوا بأي من الرأيين.

أما عن أصـحاب الاتجـاه الأول فقـد مثلـهم الصـحابة الـذين بـايعوا عليـا رضي الله عنه وبخاصـة طلحـة والـزبير[4]، اللـذين قيـل أنهمـا بـايعـا كرهـا[5]،

1- ابن أبي الحديد، المصدر السابق ، مج1، ص190-191.

2- ابن كثير، المصدر السابق ، ج8ن ص05.

3- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق ، ص194./ لمزيد من المعلومات ينظر: منير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصول الحكم: بحث في تاريخ الحكم الإسلامي من عهد النبوة إلى أخر اعهد العباسي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1988، ص 108-111.

4- ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق ، ج2، ص150-151./ إبراهيم حبيب، المرجع السابق، ص131-132./ .Barrau(E) ,Op-Cit , p52

5- ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج2، ص150-151،ص161-162.

وأنهما اشترطا إقامة الحدود[1]، غير أننا نعتقد أن القول بإكراههما إنما كان تعليلا لموقفهما تجاه الخليفة من خلال خروجهما وقتالهما له في معركة الجمل، وأن الإكراه لم يقع كما سنذكر.

ومع بيعة عموم الناس، تأخر قوم من الأنصار وآخرون من المهاجرين[2]، وهؤلاء مثلوا أصحاب الاتجاه الثالث الذين اعتزلوا الفتنة، وعلى رأسهم عبد الله بن عمر[3]، ولعل امتناع هؤلاء عن بيعة الإمام سببه إسراع الثوار إلى مبايعته ونصرته[4]، وبالتالي وقوع الفتنة فيهم ولأجلهم حول مسألة الاقتصاص منهم.

زيادة على ذلك فقد هرب بنو أمية إلى الشام[5] وفيهم مروان والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص، ويقول عنهم المسعودي أنهم أتوا عليا وتحججوا بذرائع لتبرير تخلفهم عن بيعته[6].

وأما عن أصحاب الاتجاه الثاني، ويتمثلون في طالبي القصاص، يتقدمهم معاوية بن أبي سفيان، والذي صورت المصادر موقفه على أنه سياسي نفعي، وكأنه اتخذ المطالبة بدم عثمان وسيلة للوصول إلى السلطة.

1- المصدر نفسه ، ج2، ص151.

2- المصدر نفسه ، ج2، ص151.

3- المصدر نفسه ، ج2، ص151./ أبو الفدا، المصدر السابق ، ج1، ص238-239./ ابن كثير، المصدر السابق، ج8، ص06./ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج5، ص64./ للمقارنة: المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص390.

4- حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، المرجع السابق ، ص168.

5- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص151./ ابن كثير، المصدر السابق ، ج8، ص05.

6-المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص389-390.

وحتى تأخذ الصورة المرسومة لمعاوية معالمها، ابتُدِئ بتصوير طمع الأمويين في الخلافة من خلال مقالة أبي سفيان لهم منذ بيعة عثمان: "تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة"[1]. ومن هنا ظهر معاوية كندٍ للإمام علي رضي الله عنه حتى طالب أن يُبايَع له بالخلافة[2]، كما طلب بقاءه على الشام من الخليفة دون مبايعته[3] كأنه يُلمّح إلى استقلاله بها، بل ويذهب البعض إلى القول أنه استشعر الخلافة لنفسه زمن عثمان رضي الله عنه، حيث طلب منه أن يذهب معه إلى الشام سنة 34هـ/654م[4]، وبالتالي كان معاوية، حسب ما تصوره المصادر، ذا نزعة سلطوية نفعية، ولم يكن رفضه لبيعة علي رضي الله عنه إلا ستارا لأهدافه الشخصية، وهذا ما سنتوقف عنده في المبحث التالي، إضافة إلى ما قيل عن موقف عائشة وطلحة والزبير الذين اختلف موقفهم عن موقف معاوية.

1- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص379.

2- المصدر نفسه، ج2، ص390./ طه حسين، الفتنة الكبرى: علي و بنوه، في إسلاميات، دار الأداب، بيروت، ط1، 1967، ص858./ للمقارنة: ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق، ج2، ص171.

3- محمد نور ولي، المرجع السابق، ص256./ للمقارنة: طه حسين، الفتنة الكبرى: عثمان، المرجع السابق، ص752.

4- ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص337./ عباس محمود العقاد، معاوية بن أبي سفيان، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، دت، ص85.

المبحث الثاني: اختلاف الصحابة في الثأر لعثمان:

سبق أن ذكرنا أن الصحابة انقسموا إلى ثلاثة اتجاهات حول مسألة البيعة والقصاص، فأما من اعتزلوا الفتنة فلم يكن لهم موقف من مسألة القصاص من الثوار، مع أن علياﷺ صوب رأيهم وقبل عذر كل منهم[1]، ذلك أنهم اتبعوا نصوصا في الإمساك عن هذا الخلاف[2]، وبالتالي كان اعتزالهم له اعتزالا للفتنة، لاسيما أن الأوضاع كانت تنذر بما هو أسوأ.

1-محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي المعافري الإشبيلي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2004، ج4، ص107./ لمزيد من المعلومات ينظر: خالد كبير علال، الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى: مواقفهم منها، ودورهم في الحد منها، دار البلاغ، الجزائر، ط01، 2003.

2-ابن تيمية، الوصية الكبرى في العقيدة والدعوة للمسلمين جماعات وأفردا، تحقيق: علي حسن، علي عبد الحميد، دار الشهاب، الجزائر، ط2، 1988، ص65. / يقول أستاذنا الدكتور خالد كبير أن اختلاف الصحابة والتباين الذي مس وجهات نظر كل منهم والاصرار على هذه المواقف هو سبب الاقتتال. ينظر: خالد علال كبير، المرجع نفسه، ص08/ ولكن هذا يبقى جزئيا في نظرنا وليس هذا هو السبب الحقيقي في الاقتتال بين كبار الصحابة كون الصراع الذي جرى كان نتيجة حتمية لمخطط مدروس من قبل مثيري الفتنة وابن سبأ على وجه التحديد وإن لم يكن وحده، زيادة على أن من خالف الامام علي لم يفهم سياسته في تأجيل القصاص ولاسيما معاوية بن ابي سفيان، وأما عن أصحاب الجمل فقد كان الامر مؤامرة من طرف مثيري الفتنة في إشعال فتيل الحرب، وبالتالي فاختلاف وجهات النظر هو منطلق عدم فهم سياسة الامام علي ومن خلاله دخل مثيروا الفتنة في تغيير موازين اللعبة لصالحهم وليس السبب المباشر في الاقتتال وهذا ما يتضح جليا في معركة الجمل بعد أن اتفق الامام ومن كان مع السيدة عائشة على وجهة نظر الامام علي.

أما عن طرفي الخلاف الآخرين والمتمثلين في الإمام علي رضي الله عنه من جهة، ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى، فلم يكن الخلاف بينهما مسألة سلطوية وإنما كان مسألة سياسية اجتهادية، إضافة إلى أنها مسألة دينية، إذ أن الطرفين اختلفا في كيفية القصاص مع أنهما اتفقا على الأخذ بدم عثمان رضي الله عنه[1]، ومن هنا ظهر الخلاف في شكله الديني السياسي على أنه خلاف حول الأولويات[2] لا حول السلطة.

ومن هنا انتقلت مسألة القصاص من صورتها الدينية إلى صورة سياسية حتّمتها الظروف،

ولم تظهر كقضية تخص الدين فحسب باعتبارها حدا من حدود الله، بل ارتبطت أهميتها بمصير الأمة كلها؛ انطلاقا مما كان سيترتب عنها من النتائج، ومن هنا اختلفت وجهات النظر بين من رأى أولوية البيعة على القصاص ومن رأى أولية القصاص على البيعة.

أولا: وجهة نظر الإمام علي رضي الله عنه:

تبنى الخليفة وجهة نظر تأجيل القصاص إلى حين انعقاد البيعة، لما رأى من ترتب المفسدة عن تعجيله، ومن هنا دافع عن نظرته السياسية إلى هذه المسألة الدينية المختلف فيها.

كان الإمام علي رضي الله عنه مصيبا في طلب بيعته ممن عارضها[3]، وبما أن "السياسة هي حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح

1- الصلابي، حقيقة الخلاف بين الصحابة، المرجع السابق، ص11،ص18./ الصلابي، الدولة الأموية، المرجع السابق، ج1، ص105.

2-عثمان الخميس، المرجع السابق، ص121.

3- ابن حزم، المصدر السابق، ج4، ص157-158.

الدنيوية ودفع المضار"[1] فقد حاول الخليفة ضمان وحدة المسلمين تحت بيعته، دون تناسي أمر القصاص، ويظهر ذلك من قوله: "أيّها الناس أعينوني على أنفسكم وأيّمُ اللّه لأُنصِفنَّ المظلوم من ظالمه..."[2]، خاصة وأن علياﷺ كان صاحب تدبير، وكان سعيه خلال خلافته نحو درء المفاسد التي كان يرى أنها ستنتج عن القصاص، وإذا اعتبرنا "السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسولﷺ ولا نزل به وحي مالم يخالف ما نطق به الشرع"[3]، كان الإمام عليﷺ مصيبا في مقصده وسياسته؛ إذ كان يرى، حسب اعتقادنا، أن القتلة ذوو عصائب لا ترضى قبائلهم بقتلهم، فإذا طُلبوا لذلك ثارت القبائل معهم واندلعت حرب أهلية من أجلهم، الأمر الذي نلمح شرارة منه سنة 36هـ/656م، حين طارد جيشُ عائشة قتلة عثمان من أهل البصرة فقتلوا منهم ستمائة إلا واحدا[4]، وهو حرقوص بن زهير السعدي الذي منعه ستة آلاف رجل من قومه[5]، إضافة إلى عدم معرفة القتلة بعينهم[6]، ومن هنا كان الخليفة يتربص بالثوار ويسايسهم إلى حين اجتماع البيعة له، ثم يقتص منهم

1- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق ، ص178.

2- نهج البلاغة، المصدر السابق ، ج2، ص19./ للمقارنة: ابن العربي، المصدر السابق ، ج4، ص107./ ينظر: الملحق رقم:05.

3- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: أحمد الزعبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1999، ص38.

4- ابن الجوزي، المصدر السابق ، ج5، ص85./ ابن الأثير، المصدر السابق ، مج3، ص123./

5- ابن الأثير، المصدر نفسه ، مج3، ص123.

6- حمدي شاهين، الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، المرجع السابق ، ص264-265.

لعثمانﷺ[1]، فإذا اجتمع المسلمون حينئذ على خلافته، لم تستطع القبائل مع من ينتمون إليها من القتلة شيئا أمام وحدة الكلمة والدولة، وبذلك لا تجدي قوتهم ولا عصبيتهم نفعا[2] أمام إقامة الحد عليهم.

والدليل على أن هذه هي سياسة الإمام عليؓ، اختباره للثوار في بداية عهده بأن أمرهم بالعودة إلى بلادهم، فخرج الأعراب وأبت السبئية[3]، إضافة إلى رده على تهديد الثوار له عندما قالوا:

خُذْهَا إِلَيْكَ وَاحْذَرَنْ أَبَا الحَسَنْ إِنَّا نُمِرُّ الأَمْرَ إِمْرَارَ الرَّسَنْ

صَوْلَةَ أَقْوَامٍ كَأَشْدَادِ السَّفَنْ بِمُشْرَفِيَّاتٍ كَغُدْرَانِ اللَّبَنْ

وَنَطْعَنُ المُلْكَ بِلِينٍ كَالشَّطَنْ حَتَّى يَمُرْنَ عَلَى غَيْرِ عَنَنْ

فرد عليهم:

إِنِّي عَجَزْتُ عَجْزَةً لاَ أَعْتَذِرْ[4] سَوْفَ أَكِيسُ بَعْدَهَا وَأَسْتَمِرْ[5]

1- ابن كثير، المصدر السابق ، ج8، ص08./ ينظر: الفراء محمد بن الحسين، تنزيه خال المؤمنين معاوية بن ابي سفيان من الظلم والفسق بمطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، تحقيق: أبو عبد الله الأثري، دار النبلاء، عمان، ط 01، 2001، ص 85.

2- للمقارنة: نهج البلاغة ، المصدر السابق ، ج1، ص80./ سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص97./ ابن حزم، المصدر السابق، ج4، ص162./ ابن تيمية، منهاج السنة، المصدر السابق، ج1، ص371.

3- ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق،ج2، ص161./ سيف بن عمر، المصدر نفسه ، ص78.

4- أي أنه اختلطت الامور على الناس فلم يفهموه وبالتالي عجز عن الافصاح عن سياسته بسبب الرقابة عليه، والابيات من أهم الرسائل المشفرة للامام علي إلى غيره، ومن بين أهم الرسائل التي توضح جليا سياسة الامام علي وهدفه ومخططه في تطبيق الشرع على قتلة عثمان هي مقابلة القعقاع بن عمرو التميمي لعائشة وطلحة والزبيرﷺ في البصرة عن أمر الامام، وهي مقابلة شيقة توضح عدة أمور. للاطلاع عليها ينظر: الملحق رقم: 06.

5- أي سوف أرى من أمري وسياستي ما أفهم به أصحابي الذي خرجوا عليّ أو أوقف هذه الفتنة التي اختلطت فيها المفاهيم.

أَرْفَـعُ مِـنْ ذَيْلِـيَ مَـا كُنْـتُ أَجُـرُّ   وَأَجْمَـعُ الأَمْـرَ الشَّـتِيتَ المُنْتَشِـرْ [1]

إِنْ لَمْ يُشَاغِبْنِي العَجُولُ المُنْتَصِرْ [2]   أَوْ يَتْرُكُـونِي وَالسِّـلاَحُ يُبْتَـدَرْ [3].

بهذا حدث ما توقعه الخليفة من طلب معاوية للقصاص، الأمر الذي دفعه إلى القول:" قد نجا والله قتلة عثمان، إلا أن يشاء الله"[4]. وبما أن المنطق يقول أن إقامة الحدود من صلاحيات الإمام[5]، فوجهة نظر علي رضي الله عنه في طلب الخلافة كانت الأحكم وكانت تراعي المصلحة العامة، خاصة وأنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا كان ذلك يؤدي إلى الفتنة[6].

1- أي لابد أن يفهمني غيري وأنه يجب الافصاح عن الامر لهم من أجل إيقاف هذا النزاع الذي تشتت فيه المسلمون.

2- هنا يقصد معاوية بن ابي سفيان والمعنى هنا بالعجول أي الذي يريد القصاص من قتلة عثمان في العاجل وأما المراد بالمنتصر فهنا نفهم يقينا أن المقصود هو معاوية وأصحابه لأن معاوية تأول قوله تعالى: " وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا"، الإسراء، الآية: 33، فكان يرى نفسه ولي عثمان والأولى بقتل قتلته، ومن هنا نفهم قول الامام عليّ رضي اللّه عنهم أجمعين، ولكن يبقى سؤال آخر مهم وخطير جدا هو هل كان الامام علي يعترف بأن معاوية هو الأولى بالقثاث لعثمان أم أنه فقط أراد يشفر رسالته بذلك؟ سؤال مهم يحتاج الى دراسة، وعلى كل حال فنحن شخصيا نرى الرأي الثاني لأن أمور القصاص ولاسيما في قضية تخص الدولة كقضية عثمان رضي اللّه عنه تعود منطقيا إلى الحاكم الذي هو علي بن ابي طالب رضي اللّه عنه، ولعلنا نتطرق الى هذه القضية وغيرها من القضايا الشائكة في بحث آخر إن شاء اللّه تعالى.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص85.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص153.

5- ابن تيمية، الوصية الكبرى، المصدر السابق، ص83./ منير العجلاني، المصدر السابق، ص 119.

6- ابن العربي، المصدر السابق ، ج4، ص107.

ثانيا: وجهة نظر من خالف علياً رضي الله عنه:

تختلف وجهة نظر معاوية عن وجهة نظر عائشة وطلحة والزبير، في أن معاوية رفض بيعة علي رضي الله عنه من الأصل واشترط مقابلها تسليم القتلة له، عكس الثلاثة الآخرين، فأما طلحة والزبير فبايعا واشترطا مقابل ذلك إقامة الحدود، فلما تمت البيعة طالبا الخليفة بالقصاص فاعتذر وأجَّله إلى حين هدوء الأوضاع[1]، ولذلك طلبا التعبئة من الكوفة والبصرة حتى يقْوَوْا على مواجهة الثوار[2]، ولم يكن خروجهما إلى مكة نقضا للعهد كما قيل، وإنما كان، من وجهة نظرنا، لإعانة الخليفة على إقامة الحد بتعبئة الأجناد، فإن قيل لماذا كانت المواجهة يوم الجمل؟ قلنا: أن عائشة وطلحة والزبير لم يدركوا نوايا علي رضي الله عنه من تأجيل القصاص ولم يفهموا مشروعه وخططه[3]، خاصة وأن الإمام لم يستطع التصريح بذلك لضغط الثوار عليه وعلى من خالفه الرأي، إذ كان مراقبا على الدوام من طرفهم، والدليل على ذلك أنهم أوْكلوا به خالد بن ملجم قبل مقتل عثمان رضي الله عنه، وأوكلوا سودان بن حمران على طلحة، وقتيرة على الزبير[4]، وكان مما منع الإمام عليا رضي الله عنه من كشف

1- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص151./ابن كثير، المصدر السابق ، ج8، ص07.

2- سيف بن عمر، المصدر السابق ، ص78./ للمقارنة: إبراهيم حبيب، المرجع السابق ، ص133.

3- هذا ما كان عليه أصحاب الجمل من قبل ولكننا نرى والله أعلم أن هذا الالتباس قد زال بعد مقابلة القعقاع بن عمرو للسيدة عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، وأما عما حدث يوم الجمل فالمؤامرة واضحة في اشعال تلك المعركة ولعلنا نتطرق الى ذلك في بحوث أخرى بإذن الله تعالى.

4- ابن الجوزي، المصدر السابق ، ج5، ص53.

سياسته لعائشة وطلحة والزبير وهم بمكة، أنه أُحيط به وبهم من طرف الثوار[1]، وعندما أحس بفتور مراقبتهم له، أرسل القعقاع بن عمرو إلى عائشة بالبصرة فعرفها بمقصوده، إلا أن ذلك لم يَحُلْ دون وقوع معركة الجمل[2]، وتعتبر هذه المراقبة الدقيقة للخليفة السبب الذي منع عليا رضي الله عنه من التصريح بسياسته لمعاوية فيما بعد.

ومما يدل على أن عائشة وطلحة والزبير لم يكونوا رافضين بيعة علي رضي الله عنه ولم ينقضوها، أنهم نصحوا الناس بمبايعته[3]، ومن بينهم الأحنف بن قيس[4]-[5]، وبالتالي فإن خروجهم إلى البصرة، فيما بعد، لم يكن لقتاله[6].

أما معاوية ففسرت وجهة نظره تفسيرا سلبيا، على أنه اتخذ المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه ذريعة للوصول إلى السلطة[7]، غير أن هذا الأمر

1- ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص115.

2- المصدر نفسه، مج3، ص122-124./ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج5، ص85./ ينظر: الملحق رقم: 06./ وقد صرح الامام علي رضي الله عنه في خطبة له لمح فيها أن الثوار قد توغلوا داخل المجتمع الى درجة بسط الرقابة عليه وعلى صحابة رسول الله ﷺ. ينظر الملحق رقم: 07.

3- صلاح الدين نوار، المرجع السابق، ص89-90./ للمقارنة: مرتضى العسكري، المرجع السابق، ق1، ص114.

4-الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي اسعدي، من السادات التابعين، أدرك عهد النبي ﷺ، وفد على عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، (ت72هـ/ 691م). ابن العماد، المصدر السابق، ج1، ص78.

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص161./ للمقارنة: عثمان الخميس، المرجع السابق، ص122.

6- ابن حزم، المصدر السابق، ج4، ص158./ ابن العربي، المصدر السابق، ج4، ص107./ للمقارنة ينظر: ابو الفتح الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، بيروت، ط02، 1957، ج01، ص 238 وما بعدها.

7- ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص390./ حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، المرجع السابق، ص106./العقاد، المصدر السابق، ص84./ طه حسين، الفتنة الكبرى: علي و بنوه، المرجع السابق، ص 858.

يعتبر اتهاما باطلا[1]، والصواب أن معاوية اشترط القصاص دون رفض البيعة[2]، خاصة وأنه وليٌّ عثمانﷺ وأولى بالمطالبة بدمه، لقوله تعالى: " **وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا** "[3]_[4]، وبالتالي فقد كان يرى نفسه مسؤولا عن إقامة الحد، و دعا إلى ذلك أهل الشام[5] فبايعوه على الثأر لعثمانﷺ[6]، مع أنه كان لزاما عليه طاعة الإمام عليﷺ[7]، ذلك لما يترتب عن عدم الطاعة من المفاسد[8]. أما عن سبب مطالبة كل من معاوية وعائشة وطلحة والزبير التعجيل بالقصاص، فهو لأن لا تعود الثورة سُنَّة وحجة لمن يدعي التغيير، فيتجرأ أصحابها على قتل إمامهم كلما وجهت إليه تهمة، وهذا ما يؤدي إلى تفكك المسلمين[9] وزوال وحدتهم وانقسام صفوفهم بمكيدة من يدّعي التغيير والإصلاح.

1- حمدي شاهين، المرجع السابق ، ص178.

2- الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق ، ج3، ص140./

Robert Mantran, Op-Cit, p115.

3- الإسراء، الآية:33.

4- ابن أبي الحديد، المصدر السابق ، مج1، ص566./ للمقارنة: كاظم القزويني، المرجع السابق ، ص279./ هذا ما كان يراه معاوية من أحقيته بالثأر لعثمان وهذا ما صرح به هو نفسه. ينظر: الفراء محمد بن الحسين، المصدر السابق، ص 83-84.

5-الذهبي، المصدر السابق ، ج3، ص139.

6- ابن أبي الحديد، المصدر السابق ، مج1، ص556.

7- ينظر: البخاري، المصدر السابق ، كتاب: الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح:7143، ج4، ص464.

8-أبو عبد الرحمن المصري، المرجع السابق ، ج2، ص322.

9- هشام جعيط، المرجع السابق ، ص172.

ثالثا: نتائج الخلاف بين الصحابة:

لم يكن الخلاف، على حد ما ذكرنا، حول مسألة الخلافة، ولا على سلطة طرف من أطراف النزاع[1]، وإنما كان وجهة نظر سياسية نحو مسألة دينية دخل عليه الاجتهاد فاختلفت الآراء حول كيفية حلها مع مراعاة مصلحة الأمة.

كان نتيجة ذلك خروج طلحة والزبير إلى مكة ومن ثم إلى البصرة، رفقة عائشة حيث وقعت معركة الجمل[2]، وإن لم تكن هذه المعركة، في نظرنا، نتيجة هذا الخلاف وإنما نتيجة مؤامرة السبئية ضد الطرفين[3]، إضافة إلى وقوع معركة صفين بين علي رضي الله عنه ومعاوية[4] فيما بعد.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض المنقول عما شجر بين الصحابة كذب[5]، ذلك أن الحروب الواقعة بينهم كانت نتيجة الاختلاف في الاجتهاد[6] حول مسألة القصاص، والمجتهد مأجور[7]، ولولا أن من

1- نهج البلاغة، المصدر السابق ، ج2، ص05-06./ الصلابي،حقيقة الخلاف بين الصحابة، المرجع السابق ، ص18./ للمقارنة: صلاح الدين نوار، المرجع السابق، ص93.

2- المسعودي، المصدر السابق ، ج2، ص374 وما بعدها./ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص253 وما بعدها.

3- ابن الجوزي، المصدر السابق ، ج5، ص87-88./ ابن الأثير، ، المصدر السابق ، مج3، ص125-126.

4-الصلابي، المرجع السابق ، ص83-108.

5- ابن تيمية، الوصية الكبرى، المصدر السابق ، ص64.

6- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق ، ص192، ص198.

7-البخاري، المصدر السابق، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ح: 7352، ج4، ص523./أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن ورد القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تقديم: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة ، ط1، 2004، كتاب: الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ح:1716، ج2، ص214.

خالف علياﷺ علم سياسته لما قاتله، ولقوي الكل على الاقتصاص من القتلة[1] باتحادهم تحت حكم الخليفة الذي كان الأصوب رأيا باعتباره "أولى الطائفتين بالحق"[2] كما قال رسول اللّه ﷺ عنه وعمن خالفه؛ مع أن الكل كانوا على ذلك[3] لا يبتغون فيما أرادوا باطلا، ولا يرون مسارهم إلى ذلك خطأ.

1- ابن حزم، المصدر السابق ، ج4، ص162.

2- مسلم، المصدر نفسه ، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح:1065، ج1، ص517-518./ ابن العربي، المصدر السابق ، ج4، ص107.

3- ابن خلدون، المصدر السابق ، ص192.

خاتمة

حاولنا من خلال، هذه الدراسة، إبراز وجهة نظر المسعودي وابن خلدون تجاه " الفتنة الكبرى " من خلال كتابيهما ؛ " مروج الذهب " و " كتاب العبر "، وخلصنا إلى مجموعة من الاستنتاجات نبسُطُها فيما يلي:

أن المسعودي اعتمد رواية الواقدي[1]وأبي مخنف[2]، في حديثه عن الفتنة، وهذا ما يفسر ميوله العلوية واتجاهه المذهبي، وبالتالي موقفه من عثمانﷺ، مما أعطى نظرته إلى أحداث الفتنة صورتها التي حاول رسمها، و التي أوضحناها من خلال ما مضى من صفحات هذه الرسالة.

1- أبو عبد اللّه محمد بن عمر الواقدي، ولد سنة 130هـ /748م، أحد أوعية العلم وصاحب التصانيف الكثيرة، كان متشيعا وقيل فيه أنه كذاب، ضعيف ليس بشئ ،ليس بثقة ،واستقر الأجماع بوهن أخباره ، وقيل أنها موثوقة، (ت 207هـ/822م). أبو الفرج محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب ابن النديم، الفهرست ، مكتبة خياط ، بيروت، دط، دت، ص98./ الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأريب الي معرفة الأديب ، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت ، ط1، 1999، مج6، ص689-693./ ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، ط1، دت، مج9، ص366-368.

2- لوط بن يحي بن مخنف بن سليمان الأزدي، ابو مخنف، كوفي الأصل، اخباري صاحب تصانيف ، عالم بأخبار العراق وفتوحها ويزيد علي غيره، كان شيعيا متحرقا، قيل عنه أنه إخباري تالف لا يوثق به، (ت157هـ/774م). ابن النديم، المصدر نفسه ، ص 93./ الحموي، المصدر نفسه، مج6، ص269./ ابن حجر، لسان الميزان، المصدر السابق ، ج4، ص492-493.

أما ابن خلدون فقد اعتمد رواية سيف بن عمر في أغلب ما سطره في كتابه عن الفتنة زمن عثمان ﷺ، وأخذ عن أبي مخنف حديثه عنها بعد مقتل ذي النورين، وبخاصة ما جرى بين عليّ ﷺ و معاوية ﷺ، و لعل ذلك يعود إلى عدم حديث سيف بن عمر عما بعد معركة الجمل وتوقفه عند سنة (36هـ/656م)، أما أبو مخنف فقد ركز في روايته على ما دار بين عليّ ﷺ ومعاوية ﷺ من أحداث، و كأن ابن خلدون اتّبع خطة أبي جعفر الطبري من خلال اعتماده على سيف ثم على أبي مخنف، علما أن ابن خلدون اعتمد في تأريخه للمشرق الإسلامي في صدر الإسلام، بنسبة كبيرة، على ما استقاه من كتاب "تاريخ الأمم و الملوك".

كما اتضح لنا أن المسعودي وابن خلدون لم يأخذا الفتنة إلا من جهة أنها كانت فترة تسارعت فيها الأحداث حتى وقع ما وقع حينئذ؛ دون بحثهما عن سبب ذلك، إضافة إلى أنهما أرّخا لفترة على ظاهر ما كانت عليه ولم يدرسا خفاياها على أنها كانت مخططا لإسقاط النظام الراشدي والسيطرة عليه، وأن أغلب أحداث الفتنة زمن عثمان كانت حلقات مرسومة بدقة ضمن مخطط صناعة الفتنة الكبرى.

هذا وكانت وجهة نظرنا في أن الثورة على عثمان ﷺ أخفقت بعد رده لأسبابها[1]، والتي تمثلت في الانتقادات التي وجهها الثوار إليه، وإقناع الكل بذلك، خطوةً من طرفنا في تغيير مسار تفسير الكتابات حول الفتنة، لاسيما بعد أن عرفنا أن مثيريها دبّروا السبب لاستمراريتها، والمتمثل في الرسالة المزورة التي أوضحنا أنهم هم الذين كتبوها؛ رسمًا منهم للسبب المباشر في استمرارية الثورة، وبالتالي كانت، بالنسبة إليهم، حلاً بديلاً حال دون إخفاقها.

1- للاطلاع على مسار الفتنة حتى سنة 35هـ/655م ينظر الملحق رقم: 08.

كما تميزت سياسة عثمان ﵁ تجاه هذه الثورة بالحكمة في قطع أسبابها، خاصة مع رفضه قتال الثوار، والذي كان سيُحيل الأمر إلى حرب أهلية لا تُبقي ولا تذر؛ وبالتالي كان هدف الخليفة، يتمثل في الحفاظ على الإسلام والمسلمين، لذلك فداه بنفسه ثم إن انتقاد سياسة عثمان الى اليوم ما هي الا منطلق من خلفيات ذاتية، وهذا ما وصلنا اليه من خلال ماسبق دراسته، وهو تحقق قول النبيﷺ : "تهيج على الارض فتن كصياصي البقر"، فمرّ رجل مقنع فقال رسول اللّهﷺ: "هذا وأصحابه يومئذ على الحق"، فإذا هو عثمان بن عفان﵁ [1]، وليس بالضرورة في نظرنا أن أصحاب عثمان هم فقط من كان معه زمن المؤامرة عليه ولكننا نرى أن المعنى يقصد به عموم من كان على معه في كل العصور كون سياسة عثمان كانت بحق أوفق طريق في صد تلك المؤامرة، وبالتالي فهي سبيل من سبل النجاة من الفتن حتى في عصرنا هذا.

إضافة إلى أن الخلاف بين كبار الصحابة لم يكن حول الخلافة أو لأجل السلطان، وإنما كان حول مسألة دينية اختلفت وجهات النظر السياسية تجاهها عندما اجتُهِدَ فيها، وأن الحروب التي وقعت بينهم كانت نتيجة لهذا الخلاف، وفي سبيل مصلحة الأمة، ولعل الأمر يبدو غريبا إذا قلنا أن تلك الحروب كانت نتيجة حتمية لذلك الخلاف؛ وأنه لو لم تقع لاتّسع نطاق هذه الحتمية إلى درجة فناء الإسلام والمسلمين في الحرب الأهلية التي خشي عثمان﵁ وقوعها، وبالتالي تكون مساعي ذي النورين وموته لأجل هذا الهدف دون جدوى، لأن الاختلاف كان

1- أحمد بن حنبل، فضائل عثمان بن عفان ﵁، تحقيق، طلعت بن فؤاد الحلواني، دار ماجد عسيري، المملكة العربية السعودية، ط 01، 2000، رقم: 04، ص 48.

سـيحدث والحـرب سـتقع حتمـا، والأغـرب مـن ذلـك إذا قلنـا أن الأمـر سـيكون نتيجـة حتميـة بمجـرد تخلـي الإمـام علـيّ ﷺ عـن وجهـة نظـره، وهذا ما يفسره موضوع الفتنة بعد سـنة (35هـ/655م)، والـذي تخـرج دراستنا هـذه عـن نطاقـه، وبالتالي فإن مقتل أمير المؤمنين عثمان كان تضـحية منـه في سـبيل الله وحفاظـا علـى دمـاء المسـلمين ودولتـهم الـتي حـاول الثـوار بـوازع ديـني كـاذب أن يسـتولوا عليهـا والله أعلـم بمـا كانـت تـؤول إليـه الأمـور لـولا حكمـة وسياسـة عثمـان بـن عفـان وعلـي بـن أبـي طالب رضي الله عنهم.

وهذا مجمل ما استقصيناه من العوارض الكبرى من الطـرح، وإن لم يكن إجمالا.

وقبل الختام، يجدر بنا القول أن الفتنة الكبرى لم تكن فتنة ولا هـي كبرى ولكنـها كانـت مـؤامرة حقيقيـة ضـد الإسـلام ظهـرت فيهـا الحنكـة الحقيقية للسياسـة الإسـلامية الراشـدة بـل و كانـت مرحلـة إيجابيـة أكثـر من غيرها في معرفة أحكام حرب التأويل وقتال أهـل الإسـلام والحـرابـة وسياسـة رد الثورات واحترام الأولويات والصالح العام، وإن نتج عنها غـير قليل من الأمور السلبية التي ولّدتها أمور فكرية و سياسية لم تكن لتكون لولا خوض الناس فيها وتفسيرها حسـب وجهـات نظـر مختلفـة اختلافـا كـبيرا، ثـم إن مجـرد التسـاؤل عـن حكمـة الله تعـالى مـن وراء مـا جـرى في ذلك الزمن توحي إلى كل ذي لبّ سرّ الحكمة الإلهية في قوله جل وعـلا: **" كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ "**[1] .

1- البقرة، الآية: 216.

الملاحق

الملحق رقم: 1

رسالة عثمان بن عفان لأهل الكوفة حول مطالبهم

قال عثمان في رسالته: "أما بعد، فقد أمَّرت عليكم من اخترتم، وأعفيتكم من سعيد، واللّه لأفرشن لكم عرضي، ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم بجهدي، واسألوني كل ما أحببتم مما لا يعصى اللّه فيه، فسأعطيه لكم، ولا شيئا كرهتموه لا يعصى اللّه فيه إلا استعفيتم منه، أنزل فيه عند ما أحببتم حتى لا يكون لكم عليَّ حجة".

وكتب بمثل ذلك في الأمصار.

الطبري، تاريخ الامم والملوك، نقلا عن: الصلابي، عثمان بن عفان، ص 300.

الملحق رقم: 2

مشــاورة عثمــان بــن عفــان لأمــراء الأمصــار وحكمائها

"بعث عثمان – رضي الله عنه – إلى ولاة الأمصار واستدعاهم على عجل؛ عبد الله بن عامر، ومعاوية ابن أبي سفيان، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص –وهم من الولاة السابقين–، وكانت جلسة مغلقة وخطيرة جرت فيها الأبحاث التالية التي تقرر خطة العمل الجديدة على ضوء الأخبار المتناهية إلى المدينة عاصمة دولة الإسلام. قال عثمان: ويحكم ما هذه الشكاية؟ وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن يكون مصدوقا عليكم وما يعصب هذا إلا بي، فقالوا له: ألم تبعث؟ ألم يرجع إليك الخبر عن القوم؟ ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشيء؟ لا والله ما صدقوا ولا بروا، ولا نعلم لهذا الأمر أصلا، وما كنت لتأخذ به أحد فيضمنك على شيء، وما هي إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها، ولا الانتهاء إليها. قال: فأشيروا عليَّ، فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يصنع في السر، فيلقى به غير ذي معرفة، فيخبر به فيتحدث به في مجالسهم، قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم.

وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنه خير من أن تدعهم. قال معاوية: قد وليتني فوليت قوما لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتهما، قال: فما الرأي؟ قال: حسن الأدب، قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لنت لهم، وتراضيت عنهم، وزدتهم عما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة

صاحبك فتشد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين، إن الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شرا، واللين لمن يخلف الناس بالنصح، وقد فرشتهما جميعا اللين. وقام عثمان فحمد اللّه وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتم به عليَّ قد سمعت، ولكل أمر باب يؤتى منه، إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن، وإن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة، إلا في حدود اللّه تعالى ذكره، التي لا يستطيع أحد أن يبادي بعيب أحدها، فإن سده شيء فرفق، فذاك واللّه ليفتحن، وليست لأحد عليَّ حجة حق، وقد علم اللّه أني لم آل الناس خيرا، ولا نفسي، وواللّه إن رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها، كفكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، واغتفروا لهم، وإذا تعوطيت حقوق اللّه فلا تُدّهنوا فيها".

الطبري، تاريخ الامم والملوك، نقلا عن: الصلابي، عثمان بن عفان، ص 303-304.

الملحق رقم: 3

معاوية بن ابي سفيان يحاور الثوار

"لما قدموا على معاوية رحب بهم وأنزلهم كنيسة تسمى مريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتغدى ويتعشى معهم، فقال لهم يوما: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفا وغلبتم الأمم، وحويتم مراتبهم ومواريثهم، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشا، وإن قريشا لو لم تكن لعدتم أذلة كما كنتم.

كان عثمان – رضي الله عنه – يدرك أن معاوية للمعضلة، فله من فصاحته وبلاغته، وله من حلمه وصبره، وله من ذكائه ودهائه ما يواجه به الفتن، ومن أجل ذلك ما إن تقع المعضلة حتى يرسلها لابن أبي سفيان كي يحلها، وفعلا بذل معاوية – رضي الله عنه – ما بوسعه من أجل إقناع هؤلاء النفر؛ أكرمهم أولا، وخالطهم وجالسهم، وعرف سرائرهم من خلال هذه المجالس قبل أن يحكم عليهم بما نقلوا عنهم، وبعد أن أزال الوحشة عنهم وأزال الكلفة بينه وبينهم، لاحظ أن النعرة القبلية هي التي تحركهم، وأن شهوة الحكم والسلطة هي التي تثيرهم، فكان لا بد من أن يلج عليهم من زاويتين اثنتين:

الأولى: أثر الإسلام في عزة العرب.

الثانية: دور قريش في نشر الإسلام وتحمل أعبائه.

فإن كان للإسلام أثر في تكوينهم فلا بد أن يرعووا لهذا الحديث، بعد هذا وضع أمامهم صورة لوضع العرب، وقد انقلبوا بالإسلام أمة

واحـدة تخضـع لإمـام واحـد، وودعـوا حيـاة الفوضـى وسـفك الـدماء والقبلية المنتنة.

ويتابع معاوية حديثه معهم فيقول: إن أئمتكم لكم إلى اليوم جُنَّة، فلا تشذوا عن جنتكم، وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور، ويحتملون منكم المؤونة، والله لتنتهين أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم، ثم لا يحمدكم على الصبر، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم، فقال رجل من القوم: أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب، ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجُنة، فإن الجنة إذا اخترقت خلص إلينا، فقال معاوية: عرفتكم الآن، علمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيب القوم ولا أرى لك عقلا، أعظم عليك أمر الإسلام، وأذكِّرك به، وتذكرني الجاهلية؟ وقد وعظتك وتزعم لما يُجِنك أنه يخترق، ولا ينسب ما يخترق إلى الجنة، أخزى الله أقواما أعظموا أَمركم ورفعوا إلى خليفتكم.

وعرف معاوية أن الإشارة العابرة لن تقنعهم، لا بد من شرح مسهب لواقع قريش أولا فقال: افقهوا ولا أظنكم تفقهون؛ إن قريش لم تعز في جاهلية ولا في إسلام إلا بالله عز وجل، لم تكن أكثر العرب ولا أشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا، وأمحضهم أنسابا، وأعظمهم أخطارا، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا إلا بالله الذي لا يُستّذل من أعز، ولا يوضع من رفع، هل تعرفون عربا أو عجما أو سودا أو حمرا إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدولة؛ إلا ما كان من قريش؛ فإنه لم يردهم أحد بكيد إلا جعل الله خده الأسفل، حتى أراد الله أن ينتقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه، ثم ارتضى له

أصحابا فكان خيارهم قريشا، ثم بنى هذا الملك عليهم، وجعل هذه الخلافة فيهم، ولا يصلح ذلك إلا عليهم، فكان الله يحوطهم وهم على دينه، وقد حاطهم الله في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم؟ أفٍّ لك ولأصحابك، ولو أن متكلما غيرك تكلم، ولكنك ابتدأت، فأما أنت يا صعصعة فإن قريتك شر قرى عربية، أنتنها نبتًا، وأعمقها واديًا، واعرفها بالشر، وألأمها جيرانا، لم يسكنها شريف قط ولا وضيع إلا سُبَّ بها، وكانت عليه هجنة، ثم كانوا أقبح العرب ألقابا وألأمهم أصهارا، نزَّاع الأمم، وأنتم جيران الخط وفعلة فارس، حتى أصابتكم دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – ونكبتكم دعوته، وأنت نزيع شطير في عمان لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم –، فأنت شر قومك، حتى إذا أبرزك الإسلام وخلطك بالناس وحملك على الأمم التي كانت عليك، أقبلت تبغي دين الله عوجا، وتنزع إلى اللآمة والذلة ولا يضع ذلك قريشا، ولن يضرهم، ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم، إن الشيطان عنكم غير غافل، قد عرفكم بالشر من بين أمتكم، فأغرى بكم الناس، وهو صارعكم، لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء الله، ولا أمرا أراده الله، ولا تدركون بالشر أمرا إلا فتح الله عليكم شرا منه وأخزى، ثم قام وتركهم فتذامروا، فتقاصرت إليهم أنفسهم.

وبذلك بذل معاوية كل طاقاته الفكرية والثقافية والسياسية لإقناعهم:

*عرض لهم أولا أمر قريش في الجاهلية والإسلام.

*تناول قبائل هؤلاء النفر ووضعها في الجاهلية؛ حيث كانت تعاني سوء المناخ ونتن المنبت من الناحية الطبيعية، ثم الذلة والتبعية لفارس من الناحية السياسية، إلى أن أكرمهم الله بالإسلام فعزت بعد ذلٍّ، وارتفعت بعد هوان.

*تناول معاوية صعصعة بن صوحان خطيب القوم، وكيف تلكأ عن تلبية نداء الرسالة، وقد دخل قومه بها، ثم عاد وانضم إلى الإسلام، ورفعه الإسلام ثانية بعد انحدار.

*كشف معاوية - رضي الله عنه - عن مخططات صعصعة وأصحابه، وكيف يبغون الفتنة، ويبغون دين الله عوجا.

وإن الشيطان هو وكر هذه الفتنة، ومحرك هذا الشر، وبذلك ربط تاريخ الأمة بالله ثم بالإسلام والعقيدة، ثم كشف عن زيف هؤلاء النفر، وفضحهم عن آخرهم، وأبان عن مخططاتهم وصلتها بدعوى الجاهلية.

جلسة أخرى:

ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلا ثم قال: أيها القوم، ردوا عليَّ خيرا، أو اسكتوا وتفكروا، وانظروا فيما ينفعكم، وينفع أهليكم، وينفع عشائركم، وينفع جماعة المسلمين، فاطلبوه تعيشوا ونعش بكم.

قال صعصعة: لست بأهل ذلك، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله. قال معاوية: أو ليس ما ابتدأتكم به أن أمرتكم بتقوى الله، وطاعته، وطاعة نبيه - صلى الله عليه وسلم -، وأن تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا؟! قالوا: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: إني آمركم الآن إن كنت فعلت فأتوب إلى الله وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه - صلى الله عليه وسلم -، ولزوم الجماعة وكراهة الفرقة، وأن توقروا أئمتكم، وتدلوهم على كل حسن ما قدرتم، وتعظوهم في لين ولطف في شيء إن كان منهم. قال صعصعة: فإنا نأمرك أن تعتزل عملك، فإن من المسلمين من هو أحق به منك. قال

معاوية: من هو؟ قالوا: من كان أبوه أحسن قدما من أبيك، وهو بنفسه أحسن قدما منك في الإسلام. قال معاوية: والله إن لي في الإسلام قدما، ولغيري كان أحسن قدما مني، ولكنه ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه مني، ولقد رأى ذلك عمر ابن الخطاب، فلو كان غيري أقوى مني لم يكن لي عند عمر هوادة ولا لغيري، ولم أحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزل عملي، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب بخط يده فاعتزلت عمله، ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلا هو خير. فمهلا فإن في ذلك وأشباهه ما يتمنى الشيطان ويأمر، ولعمري لو كانت الأمور تقضى على رأيكم وأمانيكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوما ولا ليلة، ولكن الله يقضيها ويدبرها وهو بالغ أمره، فعاودوا الخير وقولوه. قالوا: لست لذلك أهلا، قال معاوية: أما والله إن لله سطوات ونقمات، وإني لخائف عليكم أن تتابعوا في مطاوعة الشيطان حتى تُحلَّكم مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن دار الهوان من نقم الله في عاجل الأمر والخزي الدائم في الآجل، فوثبوا عليه فأخذوا بلحيته ورأسه فقال: مه، إن هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، فلعمري إن صنيعكم ليشبه بعضه بعضا، ثم قام من عندهم فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلا ما بقيت.

هذه المحاولة الأخيرة التي بذل فيها معاوية أمير الشام كل جهده، واستعمل حلمه وثقافته وأعصابه كي يثنيهم عن الفتنة، إنه يدعوهم إلى تقوى الله وطاعته، والاستمساك بالجماعة والابتعاد عن الفرقة، وإذا بهم يرفعون عقيرتهم قائلين: ليس لك أن تطاع في معصية الله. وبحلمه الكبير، وصدره الواسع عاد فذكرهم بأنه لا يأمرهم إلا بطاعة الله، وعلى حد زعمهم فهو يتوب من المعصية إن وقعت، ثم يعود لدعوتهم إلى

الطاعـة والجماعـة والابتعـاد عـن تفريـق كلمـة الأمـة، ولـو كـان الـوعظ يجدي معهـم لأمكـن أن تتـأثر قلـوبهم لهـذه المعاملـة، وهـذا اللطـف وهـذا الحلم، لكنهم اعتبروا ذلك ضعفا وتهاونا منـه؛ خاصـة وهـو يـوجههم إلى أن يستعملوا الأسلوب الهادئ في العظة واللين في النصح، فوجدوا المجال رحبـا أن يكشـفوا عـن مكنـون قلـوبهم. فقـالوا: فإنـا نـأمرك أن تعتـزل عملـك؛ فـإن بالمسـلمين مـن هـو أحـق بـه منـك، وانتبـه معاويـة انتباهـا مفاجئا إلى ما يكنُّون، فأحب أن يتعرف على جانب غامض عليه، لعل في هـذا التعـرف مـا يوصـله إلى مـن يحـركهم، ويبـث في ذهنـهم الأراجيـف المغرضة، ولكنهم أخفوا مـا يكنـون، واكتفـوا بالإشـارة إلى أنهـم يحبـون أن يدع العمل لمن هو أفضل منه، ولِمَنْ أَبُوه أفضل من أبيه، ثـم تحلـم علـيهم أكثـر فـأكثر، رغـم الأسـلوب الفـج الـذي سـلكوه معـه، وهـم يأمرونـه بـأن يعتـزل العمـل. وهنـا نجـد لمعاويـة جوابـا مستفيضـا عـن وجهـة نظـره في الحكـم والإمـارة والقيـادة، وقـد لخـص معاويـة إجابتـه في سـت نقـاط أساسية ومهمة:

01- هـي أن لـه قـدما وسـابقة في الإسـلام، فهـو حـامي ثغـر الشـام منذ وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

02- إن هنـاك في المسـلمين مـن هـو أفضـل منـه وأكـرم، وأحسـن سابقة وأكثر بلاء، وهـو يـرى أنـه أقـوى مـن يحمـي هـذا الثغـر الإسـلامي العظـيم (الشـام)، فمنـذ أن تـولاه تمكـن مـن ضـبطه وسياسـته، وفهـم نفسيات أهله حتى أحبوه.

03- إن الميزان الحساس والمعيار الدقيق الذي يقيم الولاة هو عمـر بن الخطاب - رضـي الله عنـه - الـذي لا تأخذه في الله لومـة لائـم، فلـو

وجد في معاوية شططا أو انحرافا أو ضعفا لعزله، ولما أبقى عليه يوما واحدا، فقد عمل له طيلة خلافته، كما ولاه من قبل رسوله اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - على بعض عمله، واستخدمه كاتبا بين يديه، وولاه أبو بكر الصديق من بعده ولم يطعن في كفاءته أحد.

04- إن اعتزال العمل يجب أن يستند لأسباب موجبة للاعتزال، فما الحجة التي يقدمها دعاة الفتنة ليتم الاعتزال على أساسها؟

05- إن الذي يقرر العزل عن العمل أو البقاء في الإمارة ليس هؤلاء الأدعياء، إن ذلك من حق أمير المؤمنين عثمان - رضي اللّه عنه -، وهو الذي له الحق في تعيين الولاة وعزلهم.

06- إن أمير المؤمنين عثمان يوم يقرر عزل معاوية، فهو واثق أن أمره خير كله، ولا غضاضة في ذلك؛ فهو أمير مأمور وهو أمر خليفة المسلمين.

كان ختام الجلسة مؤسفا أشد الأسف؛ مؤلما أشد الألم، لقد حذرهم نقمة اللّه وغضبه، وحذرهم مهاوي الشيطان ومنزلقاته، وحذرهم فرقة الكلمة ومعصية الإمام، وحذرهم الانقياد إلى أهوائهم وغرورهم، فماذا كان منهم مقابل ذلك؟ وثبوا عليه وأخذوا برأسه ولحيته، وعندئذ زجرهم وقمعهم، ووجه لهم كلاما قاسيا مبطنا بالتهديد، وعرف أن هؤلاء يستحيل أن ينصاعوا للحق، فلا بد من إبلاغ أمرهم لأمير المؤمنين عثمان - رضي اللّه عنه -، وكشف هوياتهم وخطرهم ليرى فيهم أمير المؤمنين رأيا آخر".

الطبري، تاريخ الامم والملوك، نقلا عن: الصلابي ، عثمان بن عفان، ص 290-294.

الملحق رقم: 4

رفض الامام علي للخلافة

" دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم و لعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً"

نهج البلاغة، ج 01، ص 181-182.

الملحق رقم: 5

الامام علي يتعهد ضمنيا بقتلة عثمان:

"لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحداً إِنِّي أُريدُكُمْ للَّه وَأَنْتُمْ تُريدُونَني لأَنْفُسكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعينُوني عَلَى أَنْفُسكُمْ وَايْمُ اللَّه لَأُنْصفَنَّ الْمَظْلُومَ منْ ظَالمه وَلَأَقُودَنَّ الظَّالمَ بِخزَامَته حَتَّى أُوردَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً".

عن: نهج البلاغة، ج 02، ص 19.

الملحق رقم: 6

سياسة الامام علي على لسان القعقاع بن عمرو

"خرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة رضي اللّه عنها فسلم عليها وقال أي أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة قالت أي بني إصلاح بين الناس قال فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما فبعثت إليهما فجاءا فقال إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هده البلاد فقالت إصلاح بين الناس فما تقولان أنتما أمتابعبان أم مخالفان قالا متابعان قال فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح فواللّه لئن عرفنا لنصلحن ولئن أنكرناه لا نصلح قالا قتلة عثمان رضي اللّه عنه فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن وإن عمل به كان إحياء للقرآن فقال قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة إلا رجلا فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم ذلك الذي أفلت يعني حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف وهم على رجل فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذي حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون وأنتم أحميتم مضر وربيعة من هذه البلاد فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير فقالت أم المؤمنين فتقول أنت ماذا قال أقول هذا الأمر دواؤه التسكين وإذا سكن اختلجوا فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة وردك بثأر هذا الرجل وعافية وسلامة لهذا الأمة وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا الثأر وبعثه اللّه في هذه الأمة هزاهزها فآثروا العافية ترزقوها وكونوا

مفاتيح الخير كما كنتم تكونون ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم وأيم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عز و جل حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر وليس كالأمور ولا كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل، فقالوا: نعم، إذا قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر فرجع إلى علي فأخبره فإعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه".

الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج 04، ص 488.

الملحق رقم: 7

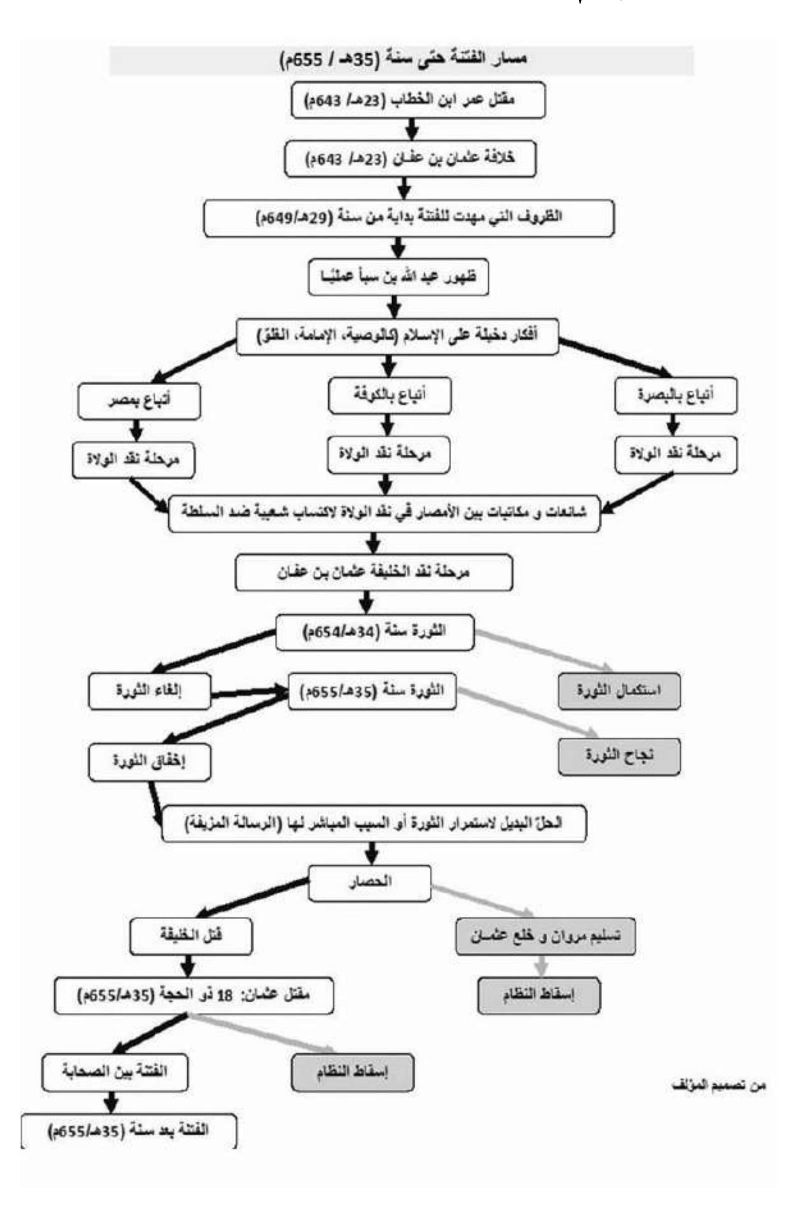
الامام علي يكشف توغل الثوار في المجتمع

بعد ما بويع بالخلافة وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟ فقال عليه السلام:

"يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلكِنْ كَيْفَ لي بِقُوَّة وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ! وهَاهُمْ هؤُلاَءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلاَلَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَة عَلَى شَيء، تُرِيدُونَهُ؟! إِنَّ هذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّة، وَإِنَّ لِهؤُلاَءِ الْقَوْمِ مَادَّةً،إِنَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُور: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرقَةٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لاَ تَرَى لا هذَا وَلاَ هذَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً ؛ فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً، وَسَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ".

نهج البلاغة، ج 02، ص 80- 81.

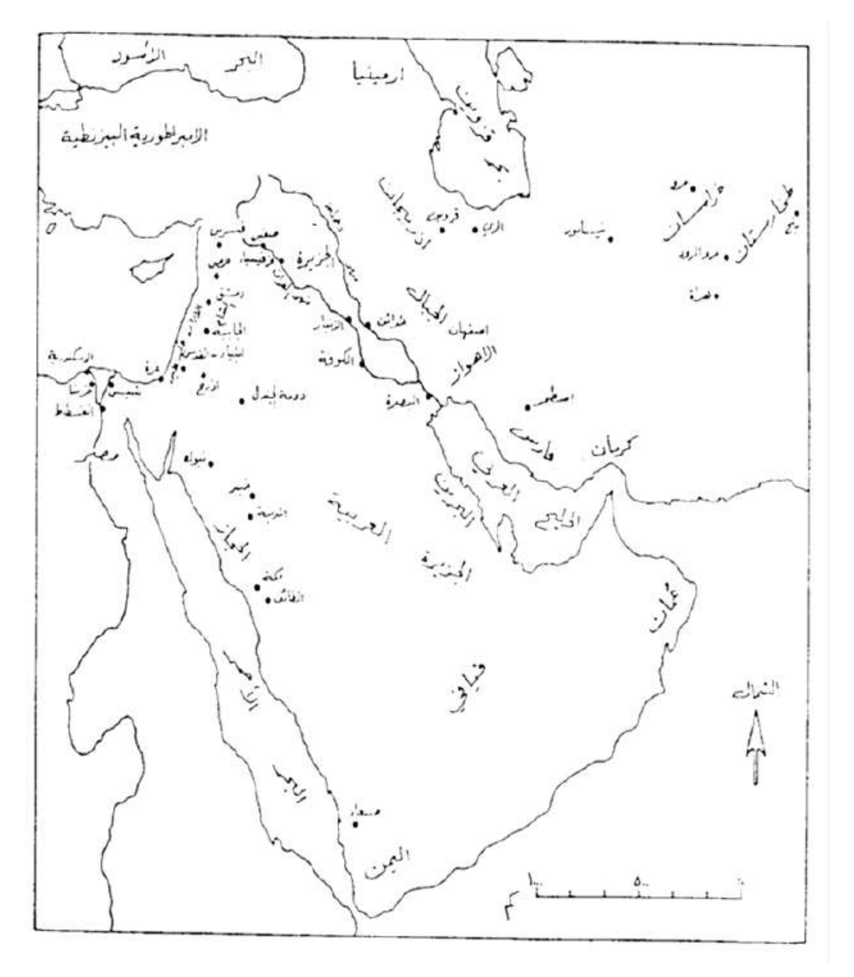
الملحق رقم: 8



مسار الفتنة حتى سنة (35هـ / 655م)
مقتل عمر ابن الخطاب (23هـ/ 643م)
خلافة عثمان بن عفان (23هـ/ 643م)
الظروف التي مهدت للفتنة بداية من سنة (29هـ/649م)
ظهور عبد الله بن سبأ عمليًا
أفكار دخيلة على الإسلام (كالوصية، الإمامة، الغلوّ)
أتباع بالبصرة
أتباع بالكوفة
أتباع بمصر
مرحلة نقد الولاة
مرحلة نقد الولاة
مرحلة نقد الولاة
شائعات و مكاتبات بين الأمصار في نقد الولاة لاكتساب شعبية ضد السلطة
مرحلة نقد الخليفة عثمان بن عفان
الثورة سنة (34هـ/654م)
استكمال الثورة
الثورة سنة (35هـ/655م)
إلغاء الثورة
نجاح الثورة
إخفاق الثورة
الحلّ البديل لاستمرار الثورة أو السبب المباشر لها (الرسالة المزيفة)
الحصار
تسليم مروان و خلع عثمان
قتل الخليفة
إسقاط النظام
مقتل عثمان: 18 ذو الحجة (35هـ/655م)
إسقاط النظام
الفتنة بين الصحابة
الفتنة بعد سنة (35هـ/655م)
من تصميم المؤلف

الملحق رقم: 9

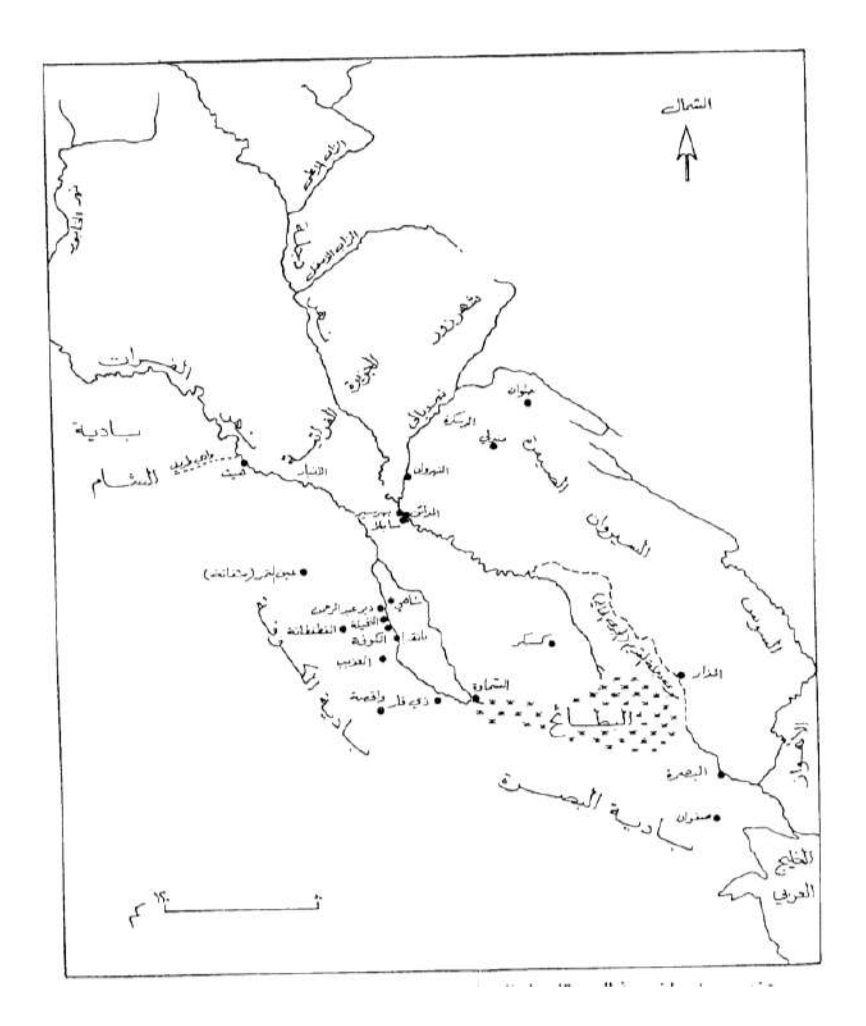
الدولة الاسلامية في زمن الفتنة



عن: عدنان ملحم، الفتنة الكبرى والمؤرخون العرب، ص **356**.

الملحق رقم: 10

العراق في زمن المؤامرة



عن: عدنان ملحم، الفتنة الكبرى والمؤرخون العرب، ص **357**.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1. ابن أبي الحديد أبو حامد عز الدين بن عبد الحميد المدائني (655هـ/1257م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: الشيخ حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1963، مج1.

2. ابن الأثير أبو الحسن عز الدين علي الشيباني (630هـ /1233م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دت، مج3.

3. ــــ،الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1998، مج3.

4. الأربلي ابو الفتح علي بن عيسى ، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، بيروت، ط02، 1957، ج 01.

5. البخاري محمد بن إسماعيل (256هـ/869م)، صحيح البخاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 2006، ج2.

6. البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م)، أنساب الأشراف، مكتبة المثنى ، بغداد، دت، ج5.

7. الترمذي محمد بن عيسى (ت279هـ/892م) ، الجامع الكبير ، تحقيق : عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط2، 1998، مج6.

8. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ/1328م)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة خياط، بيروت، دت، ج2.

9. ــــــــ، الوصية الكبرى في العقيدة والدعوة للمسلمين جماعات وأفردا، تحقيق: علي حسن، علي عبد الحميد، دار الشهاب، الجزائر، ط2، 1988.

10. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/ 1201م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،مصطفى عبد القادر عطا، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، دت،ج5.

11. ابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/1448م)، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت، ج1، ص458.

12. ــ لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1971، ج3.

13. ـــــ ، تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، ط1، دت، مج9.

14. ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي(ت456هـ/1063)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة خياط، بيروت، د ت، ج4.

15. الجرجاني القاضي عبد الجبار الهمداني، طبقات المعتزلة: كتاب فصل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، تحقيق: فؤاد السيد، الدار التونسية، تونس، 1974.

16. الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (626هـ/1228م)، معجم الأدباء: إرشاد الأريب الي معرفة الأديب، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت ، ط1، 1999، مج6.

17. ـــــــ، معجم البلدان ، مكتبة خياط ، بيروت ، د ط، دت، ج2.

18. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

19. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن ولي الدين (808هـ/1405م) ، تاريخ ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار البيان، مصر، دط، دت،ج2.

20. ـــــــ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق: درويش الجويدي ، المكتبة العصرية، بيروت ، ط2، 2002.

21. الذهبي ابو عبد الله محمد ابن احمد ابن عثمان (748هـ/1347م) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط1، 1963.

22. ـــــ سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 9، 1993، ج4.

23. ـــــــــــــ سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1982، ج3.

24. ـــــــــــــ، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1985، ج2.

25. ابن سعد محمد بن سعد بن منيع البصري (230هـ/844م)، الطبقات

الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1968، ج5.
26. سيف بن عمر الضبّي الأسدي التميمي (200هـ815م)، الفتنة ووقعة الجمل، جمع وتصنيف: أحمد راتب عرموش، دار النفائس ، بيروت ، ط1، 1972.
27. الشهرستاني محمد بن عبد الكريم (548هـ1153م) ، الملل والنحل، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ج1.
28. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ/922م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار سويدان، بيروت، ط2، 1967،ج4.
29. ابن عبد البر يوسف بن عبد الله (463هـ/1070م) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي ، مكتبة النهضة، مصر، دت، ق2.
30. ابن العبري غريغوريون بن أهرون الملطي، تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2001.
31. ابن العربي محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي (543هـ/1148م)، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2004، ج4.
32. ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت1089هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مركز الموسوعات العلمية ، بيروت، دط، دت،ج1.
33. أبو الفدا إسماعيل بن علي ، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ج1.
34. الفراء محمد بن الحسين (458ه/1065م)، تنزيه خال المؤمنين معاوية بن ابي سفيان من الظلم والفسق بمطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، تحقيق: أبو عبد الله الأثري، دار النبلاء، عمان، ط 01، 2001.
35. ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/889م)، الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، تحقيق: مفيد قميحة، ومحمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005.
36. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: أحمد الزعبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1999.
37. ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت774هـ/1372م) ، البداية

والنهاية، تحقيق: جودة محمد جودة، محمد حسني الشعراوي، دار ابن الهيثم، بيروت، ط1، 2006، ج7،ج8.

38. مسلم أبو الحسن بن الحجاج بن ورد القشيري النيسابوري (ت261هـ/874م)، صحيح مسلم، تقديم: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة ،ط1،2004،ج2 .

39. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م)، مروج الذهب و معادن الجوهر، تقديم: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، دت، ج2.

40. المسعودي، التنبيه و الإشراف، تصحيح: عبد اللّه إسماعيل الصّاوي، مكتبة المثنى، بغداد ، 1938.

41. ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب (ت380هـ/990م) ، الفهرست ، مكتبة خياط، بيروت، دت.

42. نهج البلاغة ، شرح : محمد عبده، دار كرم ، دمشق ، دط، دت.

43. ابن هشام محمد المعافري (ت313هـ/925م)، السيرة النبوية، تحقيق: محمد علي القطب، محمد الدالي بلطه، المكتبة العصرية، بيروت، 2007، ج2.

44. اليعقوبي أحمد بن ابي يعقوب إسحاق بن جعفر (ت292هـ/904م)، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت، 1960، مج2.

المراجع:

45. أبو عبد الرحمن المصري السّيّد أحمد أبو يوسف ، الشروح الوافية على العقيدة الطحّاوية، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1،2007،ج2.

46. أجناس جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، دط، دت .

47. إسماعيل محمود ،الحركات السرية في الإسلام، دار رؤية، القاهرة، ط6، 2006.

48. آل كاشف الغطا محمد حسين ، أصل الشيعة و أصولها : مقارنة مع المذاهب الأربعة ، دار الأضواء ، بيروت ، ط1، 1990.

49. أمحزون محمد ، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري و المحدثين، دار طيبة ، الرياض ، ط1، 1994، ج1.

50. بروكلمان كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبية أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002.

51. البغدادي إسماعيل باشا ، هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951، مج1.

52. بيضون إبراهيم ، عبد الله بن سبأ : إشكالية النص و الدور الأسطوري، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ط1، 1997.

53. ________ ، مؤتمر الجابية : دراسة في نشوء خلافة بني مروان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط2، 1997.

54. ________، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول هجري ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1979.

55. ________، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك: دراسة في تكوين الاتجاهات السياسية في القرن الأول هجري ، دار النهضة العربية، بيروت ، ط3، 1990.

56. جعيط هشام ، الفتنة: جدلية الدين و السياسة في الإسلام المبكر، ترجمة : خليل أحمد خليل، دار الطليعة ، بيروت، ط5،2005.

57. حبيب جميل إبراهيم ،سيرة الزبير بن العوام: ومواقفه من معارك التحرير و الفتوحات الإسلامية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1985.

58. الحسيني ابو محمد ، أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب : نصوص من كتب الشيعة الاثنى عشرية تبين موقفهم من الصحابة بإيجاز، د ن ، د م ، ط1، 1993.

59. حسين طه، الفتنة الكبرى: عثمان، في إسلاميات، دار الأداب، بيروت، ط1، 1967.

60. ________، الفتنة الكبرى: علي و بنوه، في إسلاميات، دار الأداب، بيروت، ط1، 1967.

61. الخميس عثمان بن محمد ، حقبة من التاريخ : ما بين وفاة النبي ﷺ إلى مقتل الحسين رضي الله عنه، سنة 61 هجرية، دار ابن الجوزي، القاهرة ، ط1، 2007.

62. دويكات نضال عباس، محمد بن ابي بكر الصديق: حياته وأحواله زمن الفتنة، فلسطين، 2012.

63. الرازجي علي بن أحمد ، توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد اللّه بن سبأ : بين أقلام أهل السنة والشيعة وغيرهم، دار الآثار، القاهرة، ط 01، 2007.

64. الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 15، 2002، ج5.

65. سالم السيد عبد العزيز وسحر السيد عبد العزيز، نصوص تاريخية في التاريخ الإسلامي: باللغة الانجليزية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002.

66. شاهين حمدي ، الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، دار القاهرة، مصر، ط1،2003.

67. ________، الدولة الأموية المفترى عليها : دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، مصر، 2001.

68. الصلابي على محمد ، الدولة الأموية : عوامل الازدهار و تداعيات الانهيار، مؤسسة اقرأ ، الفسطاط ، ط1، 2005، ج1.

69. ________ علي محمد ، فكر الخوارج و الشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة، دار المجدد ، الجزائر، د ط، 2009.

70. ________، حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفّين وقضية التحكيم، دار ابن الجوزيّ، القاهرة،2007.

71. ________، سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: شخصيته وعصره، دار بن الجوزي، القاهرة، ط01، 2007.

72. ظهير إحسان إلهي ، الشّيعة والتّشيّع، دار الإمام المجدد، القاهرة، ط1، 2005.

73. ________، الشّيعة والسنّة، إدارة ترجمان السنّة، باكستان، ط3، 1976.

74. عبد المقصود عبد الفتاح ، الإمام علي بن أبي طالب، مكتبة العرفان، بيروت، دت، ج2.

75. العجلاني منير ، عبقرية الإسلام في أصول الحكم: بحث في تاريخ الحكم الإسلامي من عهد النبوة إلى أخر اعهد العباسي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1988.

76. العسكري مرتضى ، خمسون ومائة صحابي مختلق، منشورات كلية أصول الدين ، بغداد، ط1، 1968، ق1.

77. العقاد عباس محمود ، معاوية بن أبي سفيان، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، دت.

78. علي سيد أمير ، مختصر تاريخ العرب و التمدن الإسلامي، ترجمة: رياض رأفت، دار الأفاق العربية، القاهرة ، ط1، 2001.

79. علال خالد كبير ، الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى: مواقفهم منها، ودورهم في الحد منها، دار البلاغ، الجزائر، ط01، 2003.

80. ________، رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد عثمان بن عفان ﷺ: دراسة نقدية تمحيصية وفق منهج علم الجرح والتعديل، دار المحتسب، 2008.

81. الغبان محمد بن عبد الله ، فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط01، 1999.

82. فلهوزن يوليوس ، تاريخ الدولة العربية: من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: حسين مؤنس ، تقديم : مصطفى لبيب عبد الغني ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، د ط ، 2005.

83. فولتن فان ، السيطرة العربية و التشيع و المعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية ، ترجمة: إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية ، بيروت، د ط ، 1996.

84. القزويني محمد كاظم ، الإمام علي من المهد إلى اللحد، مؤسسة النور، بيروت، 1993.

85. لويس برنارد ، الإسلام في التاريخ: الأفكار والناس والأحداث في الشرق الأوسط ، ترجمة: مدحت طه، تق: أحمد كمال أبو المجد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003.

86. مسعود جمال عبد الهادي محمد ، وفاء محمد رفعت جمعة، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، لماذا؟ وكيف ؟، دار الوفاء، مصر، ط2، 1988.

87. معروف نايف محمود ، الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، دار الطليعة ، بيروت، ط5، 2004.

88. ملحم عدنان محمد ، المؤرخون العرب والفتنة الكبرى (القرن الأول، القرن الرابع الهجري،): دراسة تاريخيّة منهجيّة، دار الطّليعة، بيروت، ط2، 2001.

89. الموسوي السيد حسين ، للّه ثم للتّاريخ: كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط1، 2007.

90. نوّار صلاح الدين محمد ، نظرية الخلافة أو الإمامة و تطورها السياسي و الديني(11-41هـ/632-662م): دراسة تحليلية و نقدية مقارنة، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1996.

91. نور ولي عبد العزيز محمد ، أثر التشيّع على الرّوايات التاريخيّة في القرن الأوّل الهجريّ، دار الخضري، المدينة المنورة، ط1،1996.

92. الهاشمي سعدي ، ابن سبأ حقيقة لا خيال، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط01، 1985.

المراجع باللغة الفرنسية:

93. Robert Mantran , L’expansion Musulmane (VII^{e}-XI^{e} siècles), presses universitaires de France, Paris, 3^{ieme} éd , 1986, p115.

94. Barrau (E) ,Histoire politique des peuples musulmans, imprimerie d’Amédée saintin, Paris, s é, s d, p49

وصلى الله وسلم.. على نبيّه الأكرم.. وعلى آله و صحبه

وأزواجه.. ما ذكره الذاكرون.. وغفل عن ذكره

الغافلون..عدد خلقه.. و رضا نفسه.. وزنة

عرشه .. ومداد كلماته.. والحمد لله

حتى يرضى.. وله الحمد إذا

رضي .. وبعد الرضا..

ولا رضابعد رضاه

وهو رب

الأنام.

***

**

*

الكل يسميها الفتنة والكثير يضيف إليها كلمة الكبرى لتكون في عرف العالم الإسلامي على أنها الفتنة الكبرى، وأغلبهم يحكّم فيها خلفياته الذهنية وينظر إليها بنظرة الدونية في تاريخ تكتبه يد الحكمة الإلهية، ومنها ينتشر السبّ واللعن وتحكيم العين الشيطانية، ولكن لا أحد يتعظ ولا أحد يعتبر ويرى بعين الحقيقة عين الواقع عين العقل. لماذا يصفق الكثيرون لما لا يرون، ويحبون من لا يعرفون ويمتثلون لما لا يدركون ويتراقصون إلى ما يجهلون. يقولون أننا في عصر قريب من عصر الراشدين وبعيد عن مواطن الهدى، ويتناسون قول النبي الأمي الذي قال له ربّ العصر الأول والآخر: "لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (48)" التوبة، الآية: 47-48.



الفتنة الكبرى